IUGJHR
Vol 24, No2, 2016, pp 42-68

ISSN 2410-3179

مجلة الجامعة الإسلامية للبحوث الإنسانية

تاريخ الإرسال (2015/11/01)، تاريخ قبول النشر (2016/02/20)

"ظاهرة الاغتراب بين ابن المعتز العباسي، وأبي فراس الحمداني" دراسة موازنة

أ. صفاء حسني الترك[1,*]

[1]مكتب التربية والتعليم، سلفيت، فلسطين

* البريد الالكتروني للباحث المرسل:

e-mail address: safaaomabed@gmail.com

الملخص:

الاغتراب قديم قدم الإنسان، وهو ظاهرة إنسانية توجد في أي مجتمع بشري، وقد تحدث عند أي من أفراد كل مجتمع، بتفاوت يعود لتباين الظروف المؤدية إليه، والطبيعة الشخصية للفرد. من هنا، سيقوم هذا البحث بدراسة هذه الظاهرة عند شاعرين عباسيين أميرين (ابن المعتز العباسي، وأبي فراس الحمداني)، لمعرفة مدى الاختلاف والائتلاف بينهما في مدى وجود هذه الظاهرة الشعورية في تجربتهما الشعرية، لاسيما أنهما عاشا ظروفاً متشابهة في كونهما من أبناء السلطة الحاكمة الذين سرعان ما تبدلت أحوالهم بسبب الصراع على السلطة.

كلمات مفتاحية:

ابن المعتز العباسي، أبو فراس الحمداني، الغربة السياسية، الغربة الاجتماعية، الغربة الزمانية، الغربة المكانية.

The phenomenon of alienation between (Ibn Al-Mu'tazz Al-Abbasi and Abu Firas al-Hamdani) Comparative Study

Abstract

Alienation is as ancient as humanity; it is a human phenomenon which exists in every human society and it may occur to any member of every society but with various degrees due to the different conditions which lead to alienation as well as the different personal characteristics of each individual. Thus, this study will examine this phenomenon with regards to two Abbasid princes and poets (Ibn Al-Mu'tazz Al-Abbasi and Abu Firas al-Hamdani) in order to recognize the degree of difference and similarity between both poets in terms of the existence of this phenomenon in their poetic experience; particularly as they lived in similar circumstances, as being from the governing authority, and sooner their conditions changed as a result of the conflict over authority.

Keywords:

Ibn Al-Mu'tazz Al-Abbasi, Abu Firas al-Hamdani, Political, Social, Temporal and Spatial Alienations.

المقدمة:

إن المتتبع لمعنى اغترب في معاجم اللغة العربية يجد أنها تدور في فلك النّوى والبعد، فهي النزوح عن الوطن، والغياب، والزواج في غير الأقارب، والغريب الرجل ليس من القوم ولا البلد، وغرب بمعنى سافر[1]، وفي تهذيب اللغة، يقال الغرب الذهاب والتنحي، ويقال أغربته وغربته إذا نحيته[2]. وفي مختار الصحاح: تغرب واغترب بمعنى فهو غريب وغُرُبٌ بضمتين والجمع الغرباء، والغرباء أيضاً الأباعد[3]، وبهذا فالمعاجم لا تفرق بين الغربة والاغتراب، وهي في جلها تركز على الغربة المكانية والاجتماعية الناتجة عن تواجد المرء في مكان غير بلده أو قوم غير قومه، وهذا ما جعل الاغتراب يرتبط في نفسية الإنسان بالضياع، يقول الجاحظ: "الغريب النائي عن بلده، المتنحي عن أهله، كالثور النّاد عن وطنه، الذي هو لكل سبع قنيصة، ولكل رام رديئة"[4]، ويقدم أبو حيان التوحيدي رؤيته للغربة والغرباء في رسالة ضمن كتابه (الإشارات الإلهية)؛ فهناك الغريب الذي نأى عن وطنه، والغريب الذي طالت غربته في وطنه فحرم الحبيب والمسكن أو عاش في كن، أو تلبسه الذل، وأوصدت دونه الأبواب ...الخ إلا أن أغرب الغرباء من صار غريباً في وطنه[5] وهو في تعريفه هذا يشير إلى الغربة النفسية التي تصيب الإنسان المقيم في وطنه.

وبهذا فإن الاغتراب، لغوياً، يرتبط بمعنى الغربة وينبثق منها، أما اصطلاحاً، فتتعدد معاني الاغتراب لدى الباحثين، فقد تناوله الفلاسفة والوجوديون وعلماء النفس وغيرهم بالبحث والاستقصاء ووضعوا له تعاريف كثيرة تتلاءم مع توجهاتهم وأهدافهم، و تتناسب و تطور الحياة بنواحيها كافة؛ الاقتصادية والاجتماعية والسياسية لكنها في جملتها تدور حول معاني نقل الملكية، ومعاني الانفصال، والنزوح عمّا هو محبوب مألوف، والفقدان والضياع والغموض، كما رأى بعض الدارسين في معنى الاغتراب انفصال المرء عن ذاته، فعند اريك فروم "جوهر مفهوم الاغتراب هو أن الآخرين يصبحون غرباء بالنسبة للإنسان، فالمرء لا يستطيع أن يربط نفسه بالآخرين ما لم تكن له ذات أصيلة، وإلا سيفتقد العمق والمغزى"[6]، وبهذا فان للاغتراب أسباب ذاتية وأخرى غيرية مردها إلى الظروف المحيطة بالفرد وعلاقة الآخرين به.

و"الاغتراب ظاهرة قديمة، وقد لا نبالغ إذا قلنا إنها قديمة قدم الإنسان نفسه إذ منذ اللحظات الأولى لتكوّن التجمعات السكانية صاحبتها مجموعة من الأزمات أو المشكلات التي نتج عنها بعض مظاهر الاغتراب التي عانى منها الفرد"[7]

وابن المعتز العباسي وأبو فراس الحمداني شاعران عباسيان، يقترن اسم الأول في أذهان كثير من دارسي الشعر العربي القديم، بموضوعات الترف، واللهو، والخمر، بينما يقترن اسم الثاني بمعاني الفخر والفروسية. لكن أحداً، في حدود اطلاع الباحثة، لم يخصص بحثاً يجمع بين الشاعرين لاستقصاء شعر الاغتراب وتجلياته عندهما ، لذا فإن **هدف** هذه الدراسة البحث عن مشاعر الاغتراب عندهما متخذة من ظروفهما المشتركة بقعة ضوء تستنير بها، إذ تعرض كلاهما لليتم المبكر بسبب تناحر الأقارب على الملك والحكم، كما وقع كل منهما في الأسر وإن اختلف الآسر، فابن المعتز أسره ذووه من الخلفاء وحاشيتهم، أما أبو فراس فأسره الروم أعداء الدولة. وبالتالي فقد حُرم شاعرانا حنان الأب وكرسي الحكم، وبذا فإن للدراسة **تساؤلين**: الأول: ما هي أنواع الإغتراب عند الشاعرين؟ والثاني: ما مدى الاختلاف والائتلاف بينهما في مدى وجود هذه الظاهرة الشعورية في تجربتهما الشعرية؟

---

(1) لسان العرب، ابن منظور (638/1). والمعجم المحيط، الفيروزآبادي (206/1-207)

(2) تهذيب اللغة، الأزهري (مادة غرب)

(3) مختار الصحاح، الرازي (مادة غرب)

(4) الحنين إلى الأوطان، الجاحظ (ص8-9).

(5) الإشارات الإلهيّة، التوحيدي (ص79-80).

(6) الاغتراب، شاخت (ص183).

(7) الاغتراب في رواية "البحث عن وليد مسعود" لجبرا إبراهيم جبرا، أبو شاويش (ص125).

إن "الشعور بالوحدة، بالغربة، بالاغتراب، بالحنين إلى الوطن، هو من أسمى المشاعر الإنسانية، التي صورتها الآداب العالمية، شعراً ونثراً. ويبلغ النص الأدبي أسمى مراتب الروعة عن ما تفرزه التجربة الحقيقية، وتمليه الغربة الأليمة"[1]. وبناءً على تصنيف أنواع الغربة وفقاً لمسبباتها في تجارب الشاعرين **(ابن المعتز، وأبي فراس)**، ستكون هذه الدراسة في مقدمة، وأربعة محاور: غربة **سياسية** تعود إلى استلاب حق الشاعرين في الخلافة، وإلى تجربة الأسر والنفي التي تعرضا لها، وغربة **اجتماعية** سببها علاقات الآخرين (الأقارب، والأصدقاء) بهما، وغربة **زمانية** تعود لأحداث الزمان وما حلّ بالشاعرين، والغربة **المكانية** وسببها الحب والحنين لأمكنة، أو كره أمكنة أخرى، أو الحزن لما حلّ ببعض الأماكن، وما ينبثق عن ذلك من مشاعر الأسى والحزن. وخاتمة تسجل فيها الباحثة أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

وقد اتبعت في انجاز هذا البحث المنهج الوصفي واستعنت بالمنهج النفسي، في استقراء نصوص الشاعرين واستنطاقها لمعرفة مدى حضور الاغتراب ونوعه فيها.

كما تستند هذه الدراسة إلى مجموعة من المصادر والمراجع ذات العلاقة بموضوع البحث، إذ لم تجد الباحثة دراسة مختصة بالجمع بين الشاعرين، وحدهما، في تجربة الاغتراب أو غيرها، لكن أفادت الباحثة من دراسات تناولت العصر العباسي بشكل عام، أو اختصت بظاهرة الاغتراب وأقرب هذه الدراسات إلى موضوع هذا البحث هي الدراسة الموسومة بـــ "أثر الاغتراب في شعر أبي فراس الحمداني، مظاهره وسماته الفنية" وهي رسالة ماجستير من إعداد: الجوهرة عبد العزيز المعيوف، إشراف نورة صالح الشملان، جامعة الملك سعود، د.ط، 1998م، ودراسة أخرى بعنوان "الاغتراب في الشعر العباسي" لسميرة سلامي، ومن الدراسات التي اختصت بابن المعتز، والتي عادت إليها الباحثة دراسة عبد المنعم خفاجي الموسومة بـــ "ابن المعتز وتراثه في الأدب والنقد والبيان"، أما الدراسات المختصة بأبي فراس والتي عاد إليها البحث، فمنها: دراسة عبد الجليل عبد المهدي" أبو فراس حياته وشعره" إضافة، إلى ديواني الشاعرين وهما مصدران أساسيان لهذه الدراسة، كما استندت هذه الدراسة على عدد من المؤلفات القديمة من مثل: "الحنين إلى الأوطان" للجاحظ، و"زبدة الحلب من تاريخ حلب" لابن العديم، و"تاريخ بغداد مدينة السلام" للبغدادي، وقد ألحقت قائمة بأسماء المصادر والمراجع في نهاية هذا البحث، وأفادت منها الباحثة بما هو مشار إليه في ثنايا البحث.

المحور الأول: الاغتراب السياسي

لقد عانى شاعرانا، بسبب الظروف السياسية، الحرمان من حنان الأبوة، ومن الاستقرار في الموطن، ومن تولي منصب الخلافة أو الإمارة، إضافة إلى ظلم الساسة الأقارب؛ **فابن المعتز** وُلد حفيداً للخليفة المتوكل، الذي كان آنذاك متربعاً على عرش الخلافة، وتفتحت عينا الصبي ابناً للخليفة المعتز، ووليا لعهده[2] إلا أن شيئاً من هذه التولية لم يتحقق؛ فعندما بلغ عبد الله الثامنة خُلِعَ والده ثم قُتِل، فانقلبت حياة عبد

(1) مفهوم الغربة والاغتراب في الثقافة العربية، القاسمي (ص74).

(2) يقول البحتري مادحاً المعتز، وابنه عبدالله:

رَأَيْنَا بَنِي الأَمْجَادِ فِي كُلِّ مَعْشَرٍ فَكَانُوا لِعَبْدِ اللهِ فِي المَجْدِ أَعْبَدَا
عَلَيْهِ مِنَ المــُعْتَزِّ بِاللهِ بَهْجَةٌ أَضَاءَتْ فَلَو يَسْرِي بِهَا الرَّكْبُ لَاهْتَدَى
سُرِرْنَا بِأَنْ أَمَّرْتَهُ وَنَصَّبْتَهُ لَنَا عَلَمَاً نَأْوِي إِلَى ظِلِّهِ غَدَا
وَأَبْهَجَنَا ضَرْبُ الدَّنَانِيْرِ بِاسْمِهِ وَتَقْلِيْدُهُ مِنْ أَمْرِنَا مَا تَقَلَّدَا

البحتري الوليد بن عبيد بن يحيى الطائي، الديوان (ص671–672).

الله رأساً على عقب، حيث شردت أسرته وصودرت أموالهم[1]، ولعل فيما رواه الطبري من دعاء قبيحة أم المعتز جدة الشاعر على صالح بن وصيف[2] ما يلخص المأساة التي حلت بهذه الأسرة؛ إذ تقول: "اللهم أخزه كما هتك ستري وقتل ولدي وبدد شملي وأخذ مالي وغربني عن بلدي"[3] وبهذا بدأت رحلة اغتراب الشاعر، الذي يصور تحسره على مقتل أبيه، وعجزه عن الأخذ بالثأر آنذاك لصغر سنه، بقوله:

لَـــوْ بِـــهِ أَقْتُـــلُ كُـــلّ قَرِيْـــبٍ ... وَبَعِيْـــدٍ لَـــمْ يَـــنَمْ لِـــي ثَـــار

مَطَلَتْـــهُ النَّصْـــرَ مِنِّـــي سِـــنٌّ ... لَـــمْ تَصِـــلْ بِـــي فَخُطَاهَـــا قِصَـــار[4]

لقد أصبحت الأحداث التي مرت بها طفولة **ابن المعتز**، تشكل جذوراً لمأساته تشده إليها كلما اخضر عوده، واستوى على سوقه، يصور ذلك بقوله:

لَهْفِـــي عَلَـــى دَهْـــرِ الصِّـــبَى القَصِـــيْرِ ... وَغُصْـــنِهِ ذِي الـــوَرَقِ المَنْثُـــورِ

وَطُـــول حَبْـــلِ الأَمَـــلِ المَجْـــرُورِ ... فِـــي ظِـــلِّ عَـــيْشٍ غَافِـــلٍ غَرِيْـــرِ[5]

ومن أنواع الاغتراب نقل ملكية الإنسان لمادة أو منصب إلى إنسان آخر عنوة وسطواً، مما يولد مشاعر الغضب[6] وهذا ما حصل مع **ابن المعتز** حيث أخذت الخلافة تنتقل بين أبناء عمومته، بينما حرم الشاعر حقه فيها، فيصور نفسه مترفعاً عنها مبتذلاً لها:

لَـــئِنْ عُرِيـــتُ عَـــنْ دِوَلٍ أَراهـــا ... تُجَـــدَّدُ كُـــلَّ يَـــوْمٍ لِلْكِـــلابِ

لَقَـــدْ خَلَّفْتُهـــا بَعْـــدَ ابْتِـــذالٍ ... لَهـــا ومَلَلْتُهـــا قبـــلَ الـــذَّهابِ[7]

وهو يعيش الغربة في بلده، بسبب تولي الغرباء مقاليد الحكم فيها؛ فيرسم لهم صوراً تبين جشعهم وخياناتهم لما اؤتمنوا عليه من مال الدولة، من خلال مقارنة حال الحكام ملأى البطون، بحال عامة الشعب الذين بطونهم خمص، ومساكنهم خص[8]. كما يتضح حزنه لإبعاده عن عن سدة الحكم في بكائه دار الملك قائلاً:

كيـــف قـــد أقفـــرت وحاربهـــا الدّهـــ ... ـــــر وغنـــى الجنـــان فيهـــا البـــوم

فهـــي هاتيـــك أصـــبحت يتنـــاجى ... بالتشـــكي خرابهـــا المهـــدوم

(1) شذرات الذهب في أخبار من ذهب، الحنبلي (131/2).
(2) مرآة الزّمان في تاريخ الأعيان وبذيله ذيل مرآة الزمان، شمس الدين أبي المظفّر يوسف بن قِزأ (ص22).
(3) تاريخ الطبري تاريخ الرسل والملوك، الطبري (394/9).
(4) ديوان ابن المعتز (340/2).
(5) المرجع السابق (128/2).
(6) الاغتراب–اصطلاحاً ومفهوماً وواقعاً، النوري (ص14).
(7) ديوان ابن المعتز (230/1).
(8) السابق (203/1). أما ترى بلداً أقمت بها ... على مساكن أهله خُصّ
وولاته نَبَط زنادقة ... ملأى البطون وأهلها خُمص
غَلَبَتْ خِيَانَتُهُم أَمَانَتَهُم ... وَطَغَى عَلَى تَقْوَاهُم الحِرصُ

نحـــــن كنـــــا ســـــكانها فانقضـــــى ذا ك وبنّـــــا وأي شـــــيء يـــــدوم[1]

فالشاعر يتحسر على هذه الدار التي أصبحت مسكناً للبوم كناية عن الخراب الذي حلّ بها وقد وظف من الأساليب ما جعله يرسم صورة تعبر بدقة عن خلجات نفسه وحرارة حزنه: التحقيق (قد أقفرت)، الاستفهام في البيتين الأول والثالث، تقديم الضمير نحن الذي يفيد التخصيص، أي هم وليس غيرهم كانوا يسكنون هذه الدار، فالصورة مفعمة بالتحسر على ما مضى من زمن تسلم السلطة، والحزن على واقع الحرمان والبعد.

وبالانتقال إلى شاعرنا الآخر **(أبي فراس الحمداني)** نجد رجلاً، عانى ظروف اليتم منذ صغره، أيضاً، فقد قُتل والده الأمير (سعيد بن حمدان) غدراً على يد عميد الأسرة الحمدانية (ناصر الدولة)، ولمّا يتجاوز عمر الحارث الذي كناه والده بأبي فراس ثلاثة أعوام، وهكذا بدأت رحلة المعاناة مع الوالدة الرومية التي تنقلت به بين مواطن الحمدانيين، إلى أن أحاطه ابن عمه وزوج أخته الأمير سيف الدولة بالرعاية والتنشئة على الفروسية[2]، فشبّ على ذلك وأضحى يرى في نفسه مؤهلات الإمارة، "ولو تأملنا حياة **أبي فراس** قبل أسره، وقرأنا شعره لوجدناه يعبر عن طموحه إلى المعالي، وإلى أغراض بعيدة المنال لم يفصح عنها أبداً؛ ولقد كافح في سبيل بلوغ هذه الأغراض بكل ما أوتي من شجاعة وقوة نفس وحرية روح حتى مات دونها. ولقد كان يشكو دائماً من الظروف والعوائق التي حالت دون بلوغ مراميه"[3]. يقول:

تطـــالبني بـــيض الصـــوارم والقنـــا بمـــا وعـــدت جـــدي فـــيّ المخايـــلُ

ولا ذنـــب لـــي إن الفـــؤاد لصـــارم وإنّ الحســـام المشـــرفيّ لفاصـــلُ

وإن الحصـــان الـــوالقي لضـــامر وإنّ الأصـــم الســـمهري لعاســـلُ

ولكـــن دهـــرا دافعتنـــي خُطوبُـــه كمـــا دفـــع الـــدّين الغـــريمُ المماطـــلُ

وأخـــلاف أيـــام، إذا مـــا انتجعتهـــا حلبـــت بكيّـــاتٍ، وهـــنّ حوافـــلُ [4]

وبذلك فإن الشاعرين عانيا ظلم الأقارب بمقتل الأب، وسلب المنصب، وقد بدا ذلك في صورهما، لكن الصور تظهر معاناة **ابن المعتز** أشد، وحزنه أعمق؛ "**فَهُوَ فِي جَفْوَةِ المَقَادِيْرِ لَا يَأْخُذ يَوْماً مِنْ دَوْلَةٍ بِنَصِيْب**"[5]ولعل السبب في مضاعفة أثر الغربة السياسية عند **ابن المعتز**، إقصاؤه عن أمور الحكم والدولة، رغم سعة معرفته، وإدراكه ما ظهر وما بطن من أمور الدولة[6]، أما **أبو فراس** فبعد مقتل أبيه، عُوض برعاية ابن عمه الأمير سيف الدولة الذي "كان يعجب جداً بمحاسن **أبي فراس**، ويميزه بالإكرام عن سائر قومه ويصطنعه لنفسه، ويصحبه في غزواته، ويستخلفه على أعماله"[7] وما أن يشتد ساعده حتى يوليه الأمير سيف الدولة ولاية منبج وحران وأعمالهما[1]

(1) ديوان ابن المعتز (288/1).
(2) ديوان أبي فراس، توطئة الناشر (9/2).
(3) التجربة الإنسانية في روميات أبي فراس الحمداني، المومني (ص75).
(4) ديوان أبي فراس الحمداني (291/2).
(5) ديوان ابن المعتز (42/2).
(6) الوزراء أو تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، الصابي (ص131).
(7) يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، الثعالبي (48/1).

ومن عوامل الاغتراب السياسي ومظاهره عند الشاعرين تعرضهما للنفي والأسر، والنفي لا يقصد به إبعاد الإنسان عن وطنه إلى وطن آخر فحسب، وإنما يشمل إبعاده عن مدينة إلى أخرى، ضمن إطار الوطن الأم، **فابن المعتز** نفاه الخليفة المعتضد بالله عندما وصله خبر معاقرته للخمر؛ فعنفه وطلب منه مفارقته ومغادرة بغداد[2]، "وأصبح ذات يوم منفياً عن الأهل والأصحاب... وكان هذا إلى جانب قطع عطائه وانصراف إخوانه عنه أهم الأسباب التي أشعرته بالوحشة والغربة"[3] كما أُدخل **ابن المعتز** السجن، فبعد وفاة المعتضد قبض القاسم بن عبيد الله على **ابن المعتز** وآخرين من أمراء البيت العباسي وأودعهم السجن.[4]

أما **أبو فراس**، فكان نفيه في أسره، وأسره في منفاه، "وكان يجتمع على الشاعر إذا حُبس في غير داره ذلتان: السجن والاغتراب. فيعظم إحساسه بالمهانة لما هو فيه من العجز التام بين أيدي آسريه. وأفصح عن ألم المذلة الممض غير شاعر من البداة أو الحضر. فتفجرت في غربة الأسر آلام **أبي فراس** وتعد الروميات ردة فعل على الاستذلال والعذاب الذي أضنى روحه وذهب بصبره، وحبب إليه الموت على الحياة"[5] يقول:

قَـــــدْ عَـــــذُبَ المَـــــوْتُ بِأفواهِنـــــا ... وَالمـــوْتُ خَيْـــرٌ مِـــنْ مَقـــامِ الـــذّليلِ[6]

وقد صور الشاعران سبب الوقوع في الأسر، فسبب أسر **ابن المعتز** وشايات الأعادي التي لا برهان لها، ومهما حاول الشاعر الابتعاد عن أولئك الأعادي تطوله يدهم كما تطول يد الجاني حلو الثمار وتقطفه[7]. وكذلك يرجع سبب وقوعه في الأسر إلى القدر" ولا شك أن السجناء كانوا يجدون في التسليم إلى القدر راحة للنفس ورضا بالمحنة، وعوناً على التجلد والتماسك، وقد تعمق بعض الشعراء هذا اليقين القدري تعمقاً استغراقياً خرج به من مصيره الفردي إلى مصير كوني شامل تخضع له الكائنات، قال **ابن المعتز**"[8]:

وقيـــــدت بعـــــد ركـــــوب الجيـــــاد ... ومـــــــا ذاك إلا بـــــــدور الفلـــــــك

ألـــــم تبصـــــر الطيـــــر فـــــي جوهـــــا ... تكـــــــاد تلاصـــــــق ذات الحبـــــــك

إذا أبصـــــــرتْه خطـــــــوبُ الزمـــــــا ... ن أوقعتْـــــه فـــــي حبـــــال الشـــــرَك

فهـــــذاك مـــــن حالـــــك قـــــد يُصـــــاد ... ومـــــن قعـــــر بحـــــرٍ يصـــــاد السـمك

(1) زبدة الحلب من تاريخ حلب، ابن العديم (ص70-72).
(2) ابن المعتز العباسي، زكي (ص129).
(3) المرجع السابق (ص129-130).
(4) تاريخ بغداد مدينة السلام، البغدادي (ص98).
(5) الأسر والسجن في شعر العرب، البزرة (ص477).
(6) ديوان أبي فراس الحمداني (334/3).
(7) ديوان ابن المعتز (523/1). وَقَالَ فِيَّ الأَعَادِي بِاخْتِلَافِهِم ... زوراً فَهَلَّا أَتَوا فِيْهِ بِبُرهَان
إِنْ تَتْرُكِ الشَّرَّ لا يَتْرُكْكَ مِنْ يَدِه ... لَا بُدَّ لِلْحُلو فِي الأَثْمَارِ مِنْ جَان
(8) المحاسن والأضداد، الجاحظ (ص52).

فالطير التي تحلق عالياً يوقعها القدر في شراك الصيد، والأسماك التي تقر في قعر البحر يخرجها القدر في شباك الصيد. أي لا ملجأ من القدر إذا وقع . وكذلك حال **أبي فراس**، فهو يصور أسباب أسره مبرئاً نفسه، ومهره، وصحبه، مرجعاً السبب إلى سطوة القدر، التي لا ينجي منها برٌّ ولا بحر:

أُسِرْتُ وَما صَحْبي بِعُزْلٍ، لَدى الوَغَى ولا فَرَسِي مُهْرُ وَلَا ربُّهُ غَمْرُ

وَلَكِنْ إذا حُمَّ الْقَضاءُ عَلَى امْرِئٍ فَلَيْسَ لَهُ بَرٌّ يَقِيهِ ولا بَحْرُ[1]

لقد صور الشاعران معاناة الأسر، فرسما صوراً للذات الأسيرة ومظاهر معاناتها، فها هو **ابن المعتز** يرسم لذاته الأسيرة صورة الأسير المظلوم الذي لا جرم له:

فَيَا جود كَفَيه امْحُ آثَارَ بَأْسِه فَإِنَّ عَلَيْهِ إِرْث حَبْسِي وَلَمْ أَجْن[2]

كما صور **ابن المعتز** ذاته في السجن متألماً أو مضطراً لأن يعيش تجربة الأسر شأنه شأن سائر السجناء آنذاك وما يمارسونه من أعمال مثل صناعة التكك، "وكثيرا ما نجد الأخبار بأن المسجونين كانوا يشتغلون بعمل التكك وهي لا تزال إلى اليوم أجمل ما يُصنع ببغداد"[3] وتزداد وتزداد مشاعر الألم لدى ذاته التي حولها السجن من أميرة إلى أسيرة، ومن حرة طليقة على ظهور الجياد إلى مقيدة حسيرة في غيابات السجن:

تعلمت في السجن نسج التكك وكنت امرأً قبل حبسي ملك

وقيدت بعد ركوب الجياد وما ذاك إلا بدور الفلك[4]

أما أبو فراس، فيحاول في بداية تجربة الأسر أن يبدو في صورة القوي الصامد، "لكنه حين امتد أسره، وطالت لياليه الأرقة القلقة، استبد به الحزن، وكبله الشوق والحنين، فلم يعد قادراً على الانفعال الهادر، بل أصبح صوته أنيناً والتياعاً، أصبح أشبه بصوت الناي رمز الحزن الأبدي، والعذاب، الذي لا نهاية له، إنها أحزان الغريب، وعذاب الأسير، وأنات المشوق"[5]:

بَلَى أَنَا مُشْتَاقٌ وَعِنْدِيَ لَوْعَةٌ وَلَكِنَّ مِثْلِي لا يُذَاعُ لَهُ سِرُّ

تَكَادُ تُضِيْءُ النَّارَ بَيْنَ جَوانِحِي إِذا هِيَ أَذْكَتْهَا الصَّبَابَةُ والفِكْرُ[6]

وإذا كنا نرى في الصور السابقة امتزاج مشاعر الحزن وذل الأسر بمشاعر القوة والكبرياء، فإنا نجد صورة تفور قوة وعظمة عندما يقول:

(1) ديوان أبي فراس الحمداني (213/2)
(2) ديوان ابن المعتز (523/1)
(3) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، أو عصر النهضة في الإسلام، ميز (ص202).
(4) المحاسن والأضداد، الجاحظ (ص52).
(5) الاغتراب في الشعر العباسي، سلامي (ص147-148).
(6) ديوان أبي فراس الحمداني (209/2-210).

أَنَـــا الـــذي لا يُصِـــيبُ الـــدَّهْرُ عِتْرَتَـــهُ ... ولا يَبِيْـــتُ علـــى خَـــوْفٍ مُجَـــاوِرُهُ

يُمْسِـــي وَكُـــلُّ بِـــلادٍ حَلَّهَـــا وَطَـــنٌ ... وَكُـــلُّ قَـــوْمٍ غَـــدَا فـــيهم عَشَـــائِرُهُ

إِنِّـــيْ لَـــأَرْعَى حِمَـــى الجَبَّـــارِ مُقْتَـــدِراً ... وَأُورِدُ المـــاءَ غَصْـــباً وَهُـــوَ حَاضِـــرُهُ[1]

وهذه صورة تجسد اعتداد الشاعر بذاته القوية التي لا يؤثر فيها حتى الدهر، وهذه الصورة هي دليل على إحساسه بالاغتراب فهو يقاوم من خلالها غربته النفسية، فيستخدم النفي مرتين في البيت الاول وهو ينفي عن نفسه الغربة فكل البلاد وطن وكل الأقوام عشائره وما هذا النفي للغربة المكانية والاجتماعية الا إثبات لمعاناته النفسية من مشاعر الاغتراب لكنه يحاول التخلص من الصراع الذي يعانيه، إذ إن " الشاعر حين يستخدم خياله لا يهرب من الحقيقة بل يلتمس الحقيقة كذلك في الخيال. فالخيال والواقع كلاهما وسيلة لنقل ذلك الصراع الداخلي الذي يعاني منه الفنان ... أي أنه يحاول تعمق الواقع بالخيال، فهو إذن لا يهرب منه بل يغوص فيه. وربما كان الأصح أن نقول إنه إنما يحاول الهروب من "حالة" إحساسه الحاد بالواقع، واقعه النفسي الذي يموج بألوان الصراع. وهو أدنى إلى "التخلص" منه إلى الهروب. وعندئذ يكون الدافع إلى الإبداع هو التخلص من هذا الواقع لا الهروب منه وتركه هناك إلى عالم آخر خيالي لا يمت إليه بصلة"[2]

وذات **أبي فراس** الأسيرة أبية مكابرة وكاتمة للمعاناة:

وإِنِّـــي فـــي هَـــذا الصَّـــبَاحِ لَصَـــالِحٌ ... وَلَكِـــنَّ خَطْبِـــي فـــي الظَّـــلامِ جَلِيـــلُ

وَمَـــا نَـــالَ مِنِّـــي الأَسْـــرُ مَـــا تَرَيَانِـــهِ ... وَلَكِنَّنِـــي دَامِـــي الجِـــرَاحِ عَلِيـــلُ[3]

تمثل هذه الصورة حالة التناقض التي يعيشها الشاعر، والصورة تقوم على سعة الفجوة بين مقطعيها؛ فالشق الأول يهيئ المتلقي لتتمة إيجابية للصورة، لكن الشاعر يفاجئنا بعرض مقطع متناقض يغير من الجزئية الايجابية المعروضة؛ وذلك لأن" نفسية الشاعر السجين، قلقة حائرة، تتأرجح بين تيارات نفسية متضادة مرة ثائرة أبية، ومرة خانعة ذليلة"[4]

وبذلك يكون شعر الأسر وسيلة "يتمكن الشاعر خلالها من التغلب على وسط معادل يأسر جسده، ويحاول أن يميت روحه بأساليب شتى...، فضلا عن ذكريات الأهل والأبناء والعشيرة وما تثيره من ألم واشتياق وحنين، كل هذه المحاور تتعامد وتتقاطع لخلق واقع جد خاص بكل ما يثيره ذلك من مشاعر ومواقف متعددة"[5].

لقد حاول الشعراء الأسرى التعبير عن مأساتهم في الأسر، بكافة الطرق، من ذلك لجوؤهم إلى ذويهم ممن يبادلونهم حباً بحب، وهذا **أبو فراس** يلجأ إلى تصوير أثر سجنه على الآخرين؛ ليبث معاناته وأحزانه التي تكتمها نفسه القوية الأبية " ولم يكن له عزاؤه في أسره سوى أن

(1) ديوان أبي فراس الحمداني (183/2).
(2) التفسير النفسي للأدب، إسماعيل (ص44-45).
(3) ديوان أبي فراس الحمداني (313/2).
(4) شعر السجون والأسر في الأدب العربي، الحمداني (ص563).
(5) القيم الإنسانية والجمالية في شعر الأسرى – مقاربة بنائية ودلالية، المصري (ص97).

ينعطف إلى أشعاره، فيسكن تباريحه بحماساتها، ويبكي لهفة على أمه... فإذا هدأ في جنح الليل أرسل طرفه الباكي، فتخيل أمه العجوز باكية عليه بمنبج"[1]، يقول:

لـــــــولا العَجُـــــــوزُ بِمَنْـــــــبِجٍ ... مـــــا خِفْـــــتُ أَسْـــــبَابَ المَنِيَّـــــةِ

ولَكـــــانَ لِـــــي عَمَّـــــا سَـــــأَلْ ... تُ مِـــــنَ الفِـــــدَا نَفْـــــسٌ أَبِيَّـــــةْ[2]

ويدعو **أبو فراس** أمه إلى الصبر والجلد، لما أصاب ابنها، تأسياً بأمّات المسلمين: فاطمة الزهراء، وصفية[3]، وقد رأى الباحث ياسر سلمان في ذلك محاولة للإقناع، "وضرورة أن تقتدي أمه بالنماذج الصالحة من النساء المسلمات لهو دليل على قوّة عزيمته وصلابة موقفه"[4]، إلا أن وجهة نظري أن الصورة تنم عن رؤية الشاعر ذاته مساوياً لأبناء أولئك النساء العظيمات، فحاله في معاناته كحال هؤلاء القادة الأبطال بما عانوه.

والملاحظ أننا لا نجد صوراً في تجربة **ابن المعتز** تمثل أثر السجن على الآخرين، ولعل السبب في ذلك التفكك الأسري الذي عاناه الشاعر، وهو ما سيذكر في الصفحات اللاحقة ضمن الحديث عن الغربة الاجتماعية

وتزداد معاناة الشاعرين الأسيرين في الليل، "فالشعراء الذين عايشوا تجربة السجن والأسر، كانوا يعايشون أحزانهم، وما كان ينتابهم من عذاب نفسي، وبخاصة في أثناء الليل حيث لا جليس ولا سمير، ولا ضوضاء ولا حركة فيجلس الشاعر إلى ذاته، وتستيقظ في داخلة جميع أحاسيسه ومشاعره، وما يقاسيه من عذاب وألم، فيبدأ صراعه مع نفسه ويطول الأرق ويتعذر عليه النوم، فيترقب طلوع الفجر للخلاص من تلك الهواجس"[5]، من هنا نجد **ابن المعتز** يصور ما ألمّ به من أرق في ليال كثيرة بسبب الأحزان والهموم التي لا يعلمها إلا الله، ثم يصور ما ما يتقد في قلبه من نار الأحزان إذا أشعلها الإحساس بالظلم:

كـــمْ ليلـــة قَـــدْ نَفَـــى عَنِّـــي الرُّقَـــادَ بِهَـــا ... مَـــا يَعْلَـــم اللهُ مِـــنْ هَـــمٍّ وَأَحْـــزَانِ

كـــأَنَّ حَاطِبَـــةً كانـــت تُحَطِّـــب فـــي ... قلبـــي قَتَـــاداً وَتَكْويـــه بِنِيـــرَانِ[6]

أما **أبو فراس**، فيجسد ما أصابه بسبب نار الغربة المتأججة في قلبه، وجراحه وسقمه الظاهر والباطن، بصورة من تقرحت جفناه، وهجر النوم عينيه، يقول:

---

(1) شعر الحرب في أدب العرب في العصرين الأموي والعباسي إلى عهد سيف الدولة، المحاسني زكي (ص302).

(2) ديوان أبي فراس الحمداني (433/3-434).

(3) المرجع السابق (316/2-317). أَمَا لَكِ في ذَاتِ النِّطَاقَيْنِ أُسْوَةٌ ... بِـ مَكَّةَ وَالحَرْبُ العَوَانُ تَجُولُ
أَرَادَ ابْنُهَا أَخْذَ الأَمَانِ فَلَمْ تُجِبْ ... وَتَعْلَمُ عِلْماً أَنَّهُ لَقَتِيلُ
وَكُونِي كَمَا كَانَتْ بِـ أُحُدٍ صَفِيَّةٌ ... وَلَم يُشْفَ مِنْهَا بِالبُكَاءِ غَلِيلُ
وَلَو رَدَّ يَوْماً حَمْزَةَ الخَيْرِ حُزْنُهَا ... إِذَا مَا عَلَتْهَا رَنَّةٌ وَعَوِيلُ

(4) صورة الذات بين أبي فراس الحمداني ومحمود سامي البارودي دراسة موازنة، سلمان (ص138).

(5) السجون وأثرها في الآداب العربية من العصر الجاهلي حتى نهاية العصر الأموي، واضح (ص210-211).

(6) ديوان ابن المعتز (522/1).

دعوتـــــك للجفـــــن القـــــريح المُســـــهَّد لـــــدي وللنـــــوم القليـــــل المشـــــرَّد[1]

لقد لُوِّنتْ صور الليل لدى الشاعرين بالقلق والأرق، "والقلق من أصعب ما ينال الأسير، فهو لا يعلم متى يتم فداؤه، ويتخلص من أسره، ويعود إلى أهله و وطنه. وهذا ما يمنع عنه الراحة في كل لحظة ويجعله يحس بوطأة الزمن وطوله"[2]. وقد اعتاد الأسرى تقديم صور لسجّانيهم، وبالنظر في أشعار **ابن المعتز وأبي فراس** نجد صوراً عدة يقدمها أبو فراس لآسريه الروم، ومن هذه الصور ما يذم الروم ويصورهم كلاباً يأنف الشاعر التعامل معهم:

إلـــــى الله أشـــــكو أننـــــا بمنـــــازلٍ تَحَكَّـــــمَ فـــــي آســـــادِهِنَّ كِـــــلابُ[3]

وفي هذا المعرض نجد أحد الباحثين ينفي وجود صور إيجابية للروم في شعر **أبي فراس**، يقول: "وكثيرة هي المواقف التي تدل على إباء نفسه وكبريائه تجاه آسريه، إذ لم نجد له مدحاً ولا إشادة بهم ولا قربت نفسه يوما الاقتراب منهم، فطالما تجده يصفهم بالكلمات النابية التي تظهر مدى كراهيته لهم[4]"، إلا أنني أجد بعض الصور الإيجابية للسجان عند **أبي فراس**، ومن هذه الصور ما تكاد تخلو من الإحساس بالغربة، فهو مكرم عزيز، كأنما نقل من أهله إلى أهله[5]، لكن يبدو أن حسن المعاملة هذه لم تكن إلا في بداية الأسر، ثم انقلب الحال وأصبح **أبو فراس** يعامل كباقي الأسرى؛ ثياب خشنة، وقيود ثقيلة[6]. وقد علل نصرت عبدالرحمن حسن معاملة الروم **لأبي فراس** بتخطيطهم بجعله أميراً بعد سيف الدولة المريض آنذاك، لا سيما أنهم (الروم) أخوال **أبي فراس**، وقد لمس **أبو فراس** تلك الخطة من خلال معاملتهم[7] يقول:

إِذا خِفْـــتُ مـــن أَخْـــوَالِيَ الـــرُّومِ خُطَّـــةً تَخَوَّفْـــتُ مـــن أَعْمَـــامِيَ العُـــرْبِ أَرْبَعَـــا[8]

بينما لا نجد صورة سلبية لآسري **ابن المعتز**، والصور المبثوثة للسلطة المسؤولة عن أسره صور ايجابية، ظهرت في مدحه للخلفاء والمسؤولين، كما في مدحه الخليفة المكتفي، وهذا لا يعني رضا الشاعر عنهم، وإنما كظم الشاعر غيظه وإظهاره مالا يبطن، اتقاء لشرهم وحفاظاً على حياته.

وللتعبير عن مدى شوقهما للحرية، يصور الشاعران حنينهما من خلال استحضار الطير " ومن رموز الشوق والحنين الحمامة. ورمزية الحمامة، كما وقعت في ضروب الشعر العربي متعددة الجوانب كثيرة الأصول والفروع؛ ذلك بأن الحمامة رمز للمأوى، ورمز للورد، ورمز

(1) ديوان أبي فراس الحمداني (78/2).
(2) الاغتراب في الشعر العباسي، سلامي (ص142).
(3) ديوان أبي فراس الحمداني (23/2).
(4) صورة الذات بين أبي فراس الحمداني ومحمود سامي البارودي دراسة موازنة، سلمان (ص92).
(5) ديوان أبي فراس الحمداني (324/3). وَأَوسَعُ أيّامَا حَلَلْتُ كَرامَةً كَأَنِّي من أَهْلِي نُقِلْتُ إلى أَهْلِي
فَقُل لِبَني عَمِّي وأَبلغْ بَنِي أَبي بِأَنِّي في نَعْمَاءَ يَشْكُرُها مِثْلِي
وَمَا شَاءَ رَبِّي غَيْرَ نَشْرِ مَحَاسِنِي وَأَن يَعْرِفُوا ما قَدْ عَرَفْتُ من الفَضْلِ
(6) المرجع السابق (333/3). يا نَاعِمَ الثَّوبِ كيف تُبْدَلُهُ ثِيابُنا الصُّوفُ ما نُبَدِّلُهَا
يا رَاكبَ الخيلِ لو بَصُرْتَ بِنَا نَحْمِلُ أَقْيَادَنَا وَنَنْقُلُهَا
(7) شعر الصراع مع الروم في ضوء التاريخ (العصر العباسي حتى نهاية القرن الرابع)، عبدالرحمن (ص282– 283).
(8) ديوان أبي فراس الحمداني (247/2).

للنظر ورمز للخصوبة والأنوثة والوداعة، ثم هي رمز للحزن والشوق والصبابة والبكاء، ثم هي رمز للألفة المشهور من تآلف الحمام"[1]، "ولعل أول حركة تصدر عن رؤية الحمام هي خفقان القلوب حزناً على الحرمان من الحرية وتلهفاً عليها. وهي واضحة في إقبال **ابن المعتز** على الطير وقد مر بسجنه عند السحر"[2]:

يَـــا نَفْـــس صَـــبْراً لَعَـــلَّ الخَيْـــرَ عُقْبَـــاكَ ... خَانَتْـــكَ مِـــنْ بَعْـــد طُـــول الأَمْـــن دُنْيَـــاك

مَـــرَّتْ بِنَـــا بَكَـــراً طَيْـــرٌ فَقُلْـــتُ لَهَـــا: ... طُوبَـــاكِ يَـــا لَيْتَنَـــا إِيَّـــاكِ طُوبَـــاك

لَكِـــنْ هُـــوَ الـــدَّهْرُ فِالْقِيـــه عَلَـــى حَـــذَرٍ ... فَـــرُبَّ مِثْلَـــك يَنْـــزُو تَحْـــتَ أَشْـــرَاك[3]

يرى أحمد مختار أن في هذه الصورة أجواء التحرر والتحليق في فسيح المعاني، لولا البيت الأخير الذي قطع هذه الأجواء؛ بسبب هاجس الرعب والقلق من سوء المصير. لكن، لا أرى في هذه الصورة قلق الشاعر على مصيره ، بل إن الصورة تشف عن نفس ناقمة، تترصد الفرص للانقضاض على الطيور الحرة. وبذلك تكون الصورة تحذيرية؛ **فابن المعتز** يحذر ساجنيه ويهددهم بأن الأيام دول وأنه ما طار طير وارتفع إلا كما طار وقع، ومصيرهم الوقوع في أسره.

وقد ناجى **أبو فراس** حمامة سمع نواحها في صورة مليئة بمشاعر الحزن، عدّها أحد الباحثين رسالة يبثها الشاعر إلى السلطة، علّها تسمع ما لا تريد سماعه[4]، فهي صورة صادرة عن نفس تعاني محنة قاسية، وتعاني في الوقت ذاته مكاتمة ذاتية، لإخفاء الضعف:

أقـــول وقـــد ناحـــت بقربـــي حمامـــة ... أيـــا جارتـــا، هـــل بـــات حالـــك حـــالي

لقـــد كنـــتُ أولـــى منـــك بالـــدمع مقلـــةً ... ولكـــنَّ دمعـــي فـــي الحـــوادث غـــالي[5]

فصورة **ابن المعتز**، وان كانت صادرة عن نفس ناقمة، فإنها تظهر حزن الشاعر وضعف النفس الأسيرة، من خلال غبطة الحمامة الحرة ثم تحذيرها من الوقوع في الشرك كما وقع، أما **أبو فراس**، فهو يبدي ضعفه ثم يتعالى عن تصوير الحال الحزينة، فيعدل عن ذلك ببث صورة دموعه المستعصية.

يلاحظ من خلال تصوير الشاعرين غربتيهما السياسية، أن الصور الفنية التي تمثل اغتراب الشاعر في تجربة الأسر عند **ابن المعتز**، قليلة مقابل غزارتها وشموليتها لدى **أبي فراس**، والسبب في ذلك،كما أرى، يعود إلى أن **ابن المعتز**، كان أسيرًا لدى السلطة الحاكمة المتمثلة في أبناء عمومته ممن يمثلون الوطن والدين، بينما كان **أبو فراس** أسيراً لدى الروم أعداء الوطن والدين. ولا بد أن تختلف نظرة المجتمع والذات أيضاً لكلا الحالتين. كذلك يعود السبب في قلة صور **ابن المعتز**، إلى الظروف السياسية آنذاك، فمن المعروف "أن شعراً مهاجماً للحكام كان ينظم في السجون ويخرج من أسوارها، فيدار على حذر بين أيدي الخاصة من الأهل والصحابة دهراً طويلاً ثم يتولاه الإهمال

(1) المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، الطيّب (910/3).
(2) الأسر والسجن في شعر العرب، البزرة (ص499).
(3) ديوان ابن المعتز (409/2).
(4) حركية الصراع في القصيدة العباسية، السويداوي (ص147).
(5) ديوان أبي فراس الحمداني (325/3).

ويتناسى"[1]، "ولو قيض لأمثال هؤلاء الشعراء أنصار أقوياء لا يخشون السلطة لأذاعوا أشعارهم على الملأ مكايدة ومناهضة"[2] ومن هؤلاء الشعراء عبد الله **بن المعتز** الذي حُبس مرتين وكان حبسه في الثانية قرابة شهر[3]. "ولم تطو روميات **أبي فراس**، لأن الروم أنفسهم كانوا يهيئون الرسل للشاعر يحملون قصائده إلى سيف الدولة"[4]، ومما تجدر الإشارة إليه، أن ما تمتاز به أشعار **ابن المعتز** عن أشعار **أبي فراس**، أنها استطاعت تصوير انكسار النفس الأسيرة وحزنها، بينما شمخت نفس **أبي فراس** عن الاعتراف بذلك، فاضطربت في بعض الصور. وبذلك نرى صور **أبي فراس** في تجربة الأسر، بين ضدين؛ ما بين شكوى، وحزن، وذل، وبين مكابرة وتفاخر. وذلك لعدة أسباب: استسلامه للعاطفة حيناً، وارتداده إلى نفسه القوية حيناً آخر، فهو يحاول كتم آلامه والصبر على معاناته لكنه عندما "لم يجد إلى كتم الألم سبيلاً اتخذ التغني بالألم ذريعة لتفريج الكربة"[5]

وهو يصور هذه الحالة من الصراع في نفسه بقوله:

وما أنا إلا بين أَمرٍ وَضِدَّهُ ... يُجَدَّدُ لي في كل يومٍ مُجَدَّدِ

فمن حُسْنِ صَبْرٍ بالسَّلامةِ واعدي ... ومن رَيْبِ دَهْرٍ بالرَّدَى مُتَوَعِّدِي[6]

المحور الثاني: الاغتراب الاجتماعي

يقول أبو حيان التوحيدي عن العصر العباسي: "إن الصداقة، والعشرة، والمؤاخاة، والألفة، وما يلحق بها، من الرعاية والحفاظ والوفاء والمساعدة والنصيحة والبذل والمواساة والجود والكرم قد ارتفع رسمه بين الناس، وعفى أثره بين العام والخاص"[7]. والغربة الاجتماعية عند الشاعرين شديدة التعلق بالغربة السياسية، إذ أن الساسة ومتقلدي زمام الخلافة هم أقاربهما وأبناء عمومتهما. فظلموهما أميرين وظلموهما قريبين. وبذا عاش الشاعران بين متناقضات؛ ما يجب أن يكونا عليه من صلة بذويهما، وبين واقع الاغتراب، فالشاعر **ابن المعتز** يعيش غريباً بين أقاربه، يصور علاقته بهم مصرحاً بذلك، في قوله:

سَتَدْرُسُ آثَارُ المَوَدَةِ بَيْنَنَا ... وَأَرْحَامُنَا الدُّنْيَا كَمَا يَدْرُسُ الخَطُّ[8]

فعلاقة المودة التي ربطتهم، ستزول بواقيها كما يزول الخط، إذ لا تلاؤم بينه وبينهم ولا تلاقي لكنه لم يصرح بهذه القطيعة إلا بعد أن صور سوء معاملتهم، وعقوقهم له:

وَلَيْسَ لِقُرْبَاكُمْ وَأَنْتُمْ عَقَقْتُمْ ... عَلَى السَّيْفِ يَوْمَ الرَّوْعِ عَهْدٌ وَلَا شَرْطُ

(1) الأسر والسجن في شعر العرب، البزرة (ص417).
(2) المرجع السابق، ص418.
(3) الأسر والسجن في شعر العرب، البزرة (ص419).
(4) المرجع السابق، ص414.
(5) الجامع في تاريخ الادب العربي: الادب القديم، الفاخوري (ص823).
(6) ديوان أبي فراس الحمداني (78/2).
(7) الصداقة والصديق، التوحيدي (ص2).
(8) ديوان ابن المعتز (76/2).

وَلَـــا رَحْـــمٌ إِلَّـــا وَقَـــدْ شَـــجِيَتْ بِكُـــمْ وَمَزَّقْتَمُوهَـــا مِثْـــل مَـــا مُـــزِّقَ المِـــرْطُ[1]

فهم الذين عقوا، وقطعوا الأرحام، كما يمزق المرط (الإزار)، ولا يخفى ما في هذه الصورة من معاني الألم فالاغتراب "شعور بالوحدة أو الغربة، وانعدام علاقات المحبة أو الصداقة مع الآخرين من الناس، وهو حالة كون الأشخاص والمواقف المألوفة تبدو غريبة"[2]. ويقدم في مشهد آخر مجموعة من الصور لموقف أقاربه منه، فهم يأكلون لحمه كناية عن استغابتهم له مستوحياً ذلك من الآية الكريمة ﴿أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه﴾ [الحجرات: 13] فالنفس الإنسانية السوية تأبى ذلك، لكن أقاربه لا يأنفون. وهم ليوث مفترسة إذا غاب عنهم، أما إذا حضر فيمكرون ويكتمون الغيظ، ويظهرون المودة كما تفعل الثعالب[3]. وعلاقة النسب التي تخلق بين الناس المودات يراها **ابن المعتز** من مسببات الشقاء، فهو يقدم صورة للنسيب توحي بالعداوة الدائمة، إذ إن النسيب سيوفه مسلولة كل يوم، كناية عن جاهزيته لحرب الشاعر، و سمومه ومكائده مبثوثة كالعقارب والأفاعي[4].

وأحقاد نسيبه مكتومة بين الضلوع ، أما ظاهره فوحش ذو أنياب ومخالب محمرة كناية عن دموية هذا الوحش:

وَكَامِنَـــــة تَحْـــــتَ الظُّلُـــــوع حُقُـــــوُدُه وَمُحْمَـــــــرَّةٌ أَنْيَابُـــــــه وَمَخَالِبُـــــــه[5]

و**ابن المعتز**، الخبير بما يكنه له الأقارب، وما يظهرونه، ليس عاجزاً عن عقابهم إذا أراد ذلك، فهو مستعد وحسامه قاطع[6]، لكن الأوان لم يحن كي يعلن حربه وعقابه لهم، وفي ذلك يبدو الشاعر في صورة الحكيم، إذ يقول:

إِنِّـــــي إذا فَطِـــــنَ الزَّمَـــــانُ لَنَـــــاطِقٌ وَسَـــكَتُّ حـــين رَأَيْـــتُ دَهْـــراً أَبْلَهَـــا[7]

ثم يصور بني عمومته، وقد ضاق صدره وزاد ضجره منهم، بأبناء الغم وأعوان الدهر على إيذاء الشاعر:

بَنُـــو العَـــمِّ لا بَـــل هُـــمُ بَنُـــو الغَـــمِّ والأذى وأعوان دَهْـــرِي إن تَظَلَّمْـــتِ مـــن دَهْـــرِ[8]

ثم نراه يهددهم إن استمروا في إيذائه، مشبهاً حاله معهم بمن يكون في شجرة فبدلاً من أن ينعم بظلها وثمرها يؤذيه شوكها، فيلجأ إلى تكسير أغصانها، دفاعاً عن نفسه:

فَـــلا تُكْثِـــرُوا شَـــوْكَ الأَذَى فِـــي غَصـــونِكُم فَيَكْثُـــر مِنِّـــي فِـــيْكم الكَسْـــر وَالخَـــبْطُ[1]

---

(1) المرجع السابق (76/2).
(2) ذخيرة علوم النفس، الدسوقي (77/1).
(3) ديوان ابن المعتز (197/1) لُحومهم لَحْمي وَهُم يَأْكُلونَه وَمَا دَاهِيَاتُ المَرء إلا أَقَارِبه
ليوثٌ إِذَا مَا غَابَ يفترسونه وهم إن رَأَوه في النَدِي ثَعالبه
(4) المرجع السابق (46/2). وَمَا نَسَب الأَقْوَام إِلَّا عَدَاوَةٌ وَأَكْثَر مَنْ تَشْقَى بِهِ مَنْ تُنَاسِبه
مُسَلَّلَةٌ فِي كُلّ يَوم سُيُوفه وَمَبْثُوثَةٌ حَيَّاته وَعَقَارِبه
(5) المرجع السابق (46/2).
(6) المرجع السابق (46/2). وَإِنَّ عِقَابِي لَوْ أَرَدْتُ لَقَادِر وَإِنَّ حُسَامِي لَمْ تُفَلَّل مَضَارِبُهُ
(7) المرجع السابق (299/1).
(8) المرجع السابق (254/1).

أما أبو **فراس**، فهو، أيضاً، يعاني الاغتراب وسط مجتمعه ومن صور الغربة الاجتماعية عند أبي فراس "أنه عاجز عن الاندماج مع أهل زمانه، فصفاته وأفعاله فريدة لا نظير لها بينهم:

ولكنني في ذا الزمان وأهله غريبٌ وأفعالي لديه غرائب[2]

إلا أن أكثر ما كان يسبب عذابه وشقاءه، هو إحساسه بوجود هوة عميقة تفصله عن أهله وأبناء قومه الحمدانيين، الذين أمعنوا في ظلمه، ولا شك أن حادثة مقتل أبيه، قد تركت في نفسه، آثاراً من الإحساس بالغربة لا يمكن أن تمحى، وفي معظم أشعاره التي عبر بها عن اغترابه ذكر أهله وقومه وعشيرته، وشدة إحساسه بالمفارقة بينه وبينهم"[3]:

أراني وقومي فرّقتنا مذاهب وإن جمعتنا في الأصول المناسب

فأقصاهم أقصاهم عن مساءتي وأقربهم مما كرهتُ الأقارب

غريب وأهلي حيث ما كرّ ناظري وحيدٌ وحولي من رجا لي عصائب[4]

فهي صورة قائمة على التضاد، والمفارقة بما يجسد اغتراب الشاعر: الأصول تجمع والمذاهب تفرق، أقصى قومه عن قرابته، أقلهم إساءة، وأكثرهم قرباً أكثرهم كرهاً. وهو غريب في حضور أهله، وحيد ورجاله من حوله.ما يضاعف من إحساسه بالغربة تلك المفارقة بين موقفهم السلبي منه مقابل التضحيات التي يقدمها من أجلهم، ويصور أثر ظلم الأقارب على النفس، بوقع الحسام على الجسد، بل ظلمهم له أثر أقوى، وأشد:

عداوة ذي القربى أشدّ مضاضة على المرء من وقع الحسام المهند[5]

كما يصورهم بالعقارب، دلالة على ما يتسببون به من أذى:

وأنت أخ تصفو ونصفو وإنما أقارب في هذا الزمان عقارب[6]

و**أبو فراس** في الأسر يشتاق أسرته، في صورة تحفها مشاعر الحزن الممزوجة بالحنين؛ فأطفاله كالفراخ يحتاجون الرعاية والحنان أكبرهم صغير، ويشتاق قومه الذين عاش بينهم مذ طفولته، فشوقه لهم يلهب الدمع في عينيه:

وصبية كالفراخ أكبرهم أصغرُ

(1) المرجع السابق (76/2).
(2) ديوان أبي فراس الحمداني (34/2).
(3) الاغتراب في الشعر العباسي، سلامي (ص164).
(4) ديوان أبي فراس الحمداني (20/2).
(5) المرجع السابق (98/2).
(6) المرجع السابق (34/2).

وقـــــــــــــــوم ألفنـــــــــــــــاهم وغصـــــــــن الصـــــــبا أخضـــــــرُ
فحزنـــــــــــــي لا ينقضـــــــــــــي ودمعـــــــــي مـــــــــا يفتـــــــــرُ[1]

لقد أثرت طبيعة المجتمع العباسي، وما يجمع بين دفتيه من متناقضات، على "نشوء شاعر مزدوج بين الانتماء والاغتراب، لذا نراه تارة منتمياً إلى مجتمعه وتارة أخرى متغرباً عنه، وهذا يعني أن الخضوع للواقع الاجتماعي يتحكم في الإنسان ويستعبده. حينئذ يشعر الإنسان بالانفصال والانعزال عن الآخرين"[2]. ولم تكن حال الشاعرين مع الأصدقاء أفضل منها مع الأقارب، **فابن المعتز** يعاني من الأصدقاء، ويصور علاقته بهم بأنها ابتلاء، يقول:

بَلَـــــوْتُ إِخْـــــوَانَ هَـــــذَا الزَّمَـــــانِ فَأَقْلَلْـــــتُ بِـــــالهَجْرِ مِـــــنْهُم نَصِـــــيبِي
وَكلهـــــــــــــم إِنْ تَصَـــــــــــــفَّحْتَهُمْ صَـــــدِيق العَيَـــــانِ عَـــــدُوّ المَغِيْـــــبِ[3]

فالأصل في علاقة الأصدقاء أن يكونوا قلباً واحداً، وأرواحاً ملتحمة، لكن أصدقاء **ابن المعتز** منافقون؛ أصدقاء في حضوره، أعداء في غيابه. ثم يصور أثر هذا الصديق على نفسه بشيء يعلق في الحلق وينساغ أحيانا بصعوبة. لكن لا يقدر الشاعر على الاستغناء عنه، رغم كل عيوبه، كالماء الذي يشربه الحجيج، مضطرين، في طريقهم إلى الحج على الرغم مما به من شوائب وأقذار[4]، كما يصور علاقته بأصدقائه بأنه يحرث لهم تربة الإخاء ويغرسها وداً، لكنهم يمثلون شر منبت لهذا الغراس، ويشبه مبادرته بالوصال والوئام بمن يقدح زناداً لينير الدرب، لكن الشعاع المنبثق هنا ضعيف، وذلك لفتور وضعف مودة الطرف الآخر[5].

ويستشعر **أبو فراس** اغترابه عن الأصدقاء، فهم لم يثبتوا على العهد وتناسوا الشاعر إلا قليل منهم وهو في رسم هذه الصورة ينتقي من الألفاظ ما يساعده على تجلية فكرته فهم يتناسون اي يتعمدون النسيان أو يتظاهرون به، وقد عبر عن الأقلية بتصغير كلمة عصبة، ثم يؤكد فكرته برسم صورة أخرى عامة موظفا الاستفهام الإنكاري؛ فليس أصحابه وحدهم من يتخلون عن الصديق وإنما هذا هو حال البشر كافة يكثرون عند العدّ ويقلون عند البلاء، فهو ينفي عن الناس ثباتهم على العهد يصور ذلك بقوله:

تَنَاسَـــــانِي الأَصْـــــحَابُ إلا عُصَـــــيْبَةً سَـــــتَلْحَقُ بِـــــالأُخرى غَـــــداً وَتَحُـــــولُ

(1) المرجع السابق (206/2).
(2) حركية الصراع في القصيدة العباسية، السويداوي (ص95).
(3) ديوان ابن المعتز (427/2).
(4) المرجع السابق (430/2). إِذَا مَا حَلا الإِخْوَانُ كَانَ مَرَارَةً وَيَعْرِضُ فِي حَلْقِي مِرَاراً وَيَنْشَبُ
وَلَا بُدَّ لِي مِنْهُ فَحِيناً يَغُصُّنِي وَيَنْسَاغُ لِي حِيْناً وَوَجْهِي مُقَطِّبُ
كَمَاءِ طَرِيْقِ الحَجِّ فِي كُلِّ مَنْهَلٍ يُذَمُّ عَلَى مَا كَانَ مِنْه وَيُشْرَبُ.
(5) المرجع السابق (272/1). وإِخْوَانِ شَرٍّ قَدْ حَرَثْتُ إِخَاءَهُم فَكَانُوا لِغَرسِ الوُدّ شَرَّ بِقَاعِ
قَدَحْتُ زِنَادَ الوَصْلِ بَيْنِي وَبَيْنَهُم فَأَذْكَيْتُ نَاراً غَيْرَ ذَاتِ شُعَاعِ.

ومـــن ذا الـــذي يبقـــى علـــى العَهْـــدِ إِنَّهُـــم وَإِنْ كَثُـــــرَتْ دَعْـــــوَاهُمُ لَقَليـــــلُ[1]

وانعدام الوفاء بين الأصدقاء من مظاهر الغربة الاجتماعية، التي عاناها **أبو فراس**، فلا يرى صديقاً صادق الود، ويزعجه أن ساد الغدر والجفاء علاقات الناس:

كَثُـــرَ الغَـــدْرُ وَالخِيَانَـــةُ فـــي النَّـــا سِ فمـــا أَنْ أَرَى صَـــدِيقاً صَـــدُوقَا

قَـــلَّ أَهْـــلُ الوَفَـــاءِ وَاتَّبَـــعَ النَّـــا سُ مِـــنَ الغَـــدْرِ وَالجَفَـــاءِ طَرِيقَـــا[2]

يلاحظ في دراسة تصوير الغربة الاجتماعية عند الشاعرين أن صور كراهة الأقارب، والأصدقاء كانت أغزر وأشمل عند **ابن المعتز**. وقد يكون ذلك لأن **أبا فراس** لم يُقصَ عن أبناء عمومته، بل فوض له سيف الدولة صلاحيات كثيرة منها ولاية منبج؛ أي انه لم يهمش اجتماعياً، وقد صور علاقته بسيف الدولة بالأبوية، بينما همش **ابن المعتز** اجتماعياً وأقصاه أقاربه عنهم، ولم يكن له من ملك أبائه سوى مخصصات مالية كباقي أفراد العائلة المالكة ممن لا دور لهم في الحياة، مما ضاعف غربته الذاتية، إذ كان يطمح إلى استرداد ملك أبيه وجده و"مستوى الطموح معيار يحكم به الفرد على نجاحه أو فشله، فيما يقوم به من أعمال، ويستهدف تحقيقه من غايات"[3]

ومما ضاعف مشاعر الغربة الاجتماعية عند الشاعرين، كما أعتقد، اليتم المبكر للشاعرين ثم اغتراب الأم والأخوال؛ فأم **ابن المعتز** جارية رومية وكذلك جدته، و **أبو فراس** كثيراً ما صور أمه لا أهل ولا سند لها سوى ولدها، فهي رومية أيضا، و من المعروف أن نظرة المجتمع العربي للعرب الأقحاح تختلف عن نظرتهم إلى من امتزج نسبه بعرق أجنبي، لقد برز أثر اغتراب الخؤولة عند **أبي فراس** وأحدث عنده رد فعل معاكس جعله حريصاً على أن يبرز ذاته عربية منتمية متأصلة، وأحياناً كان يتجاوز خؤولته ليفتخر بخؤولة أبيه تميم[4] لان **أبا فراس** كان واعياً لهذه النظرة ، أما **ابن المعتز** فخؤولة أبيه هي خؤولته ذاتها ، لذا بدا بعيداً عن تعصبه للقومية العربية. فالشاعران عانيا هذه الغربة إلا أن أثرها أوضح عند **أبي فراس** الذي عاش بين قطبين متضادين يتجاذبه الروم تارة وتشده العروبة والدين تارة أخرى. يقول:

إِذَا خِفْـــتُ مِـــنْ أَخْـــوَالِيَّ الـــرومِ خُطَّـــة تَخَوَّفْـــتُ مِـــنْ أَعْمَـــامِي العَـــرَبِ أَرْبَعَـــا[5]

المحور الثالث: الاغتراب الزماني

لقد كانت غربة الوطن تجربة عابرة ومرارة مؤقتة إلا أن الأمل في العودة يبقى قائماً، وإذا كانت الغربة الاجتماعية، بكافة مظاهرها، عرضة للزوال وذلك بحلول الوئام مكان الخصام، وبجمع الشتيتين بعد أن ظنا ألا تلاقيا؛ فإن الغربة الزمانية تجربة مقيتة ليست مقيمة فحسب بل هي بازدياد، فلا عودة للساعة التي مرت، ولا مجال لوقوف عقارب الزمن، ويبقى الإنسان يترقب ساعة النهاية، قلقاً متوتراً حزيناً. من هنا فإن مشاعر الاغتراب الزمني، عند الشاعرين ستتمثل في التحسر على الماضي، والكره للحاضر، والخوف من المستقبل.

(1) ديوان أبي فراس الحمداني (314/2).
(2) المرجع السابق (314/2).
(3) أصول علم النفس، راجح (ص124).
(4) ديوان أبي فراس الحمداني (345/3). سَمَتْ بِنَا وَائِلٌ وَفَازَتْ بِالعِزِّ أَخْوَالَنَا تَمِيْمُ
(5) ديوان ابن المعتز (247/2).

ومن علامات انقضاء مرحلة زمانية والدخول في مرحلة أخرى ظهور الشيب، لذا غالباً ما يقف الشاعر العربي من الشيب موقف الكاره؛ فهو علامة الضعف ونذير الفناء. وعندما يأتي هذا النذير المشؤوم مبكراً، يتضاعف الكره ويحل البؤس؛ إذ يصبح الإنسان في صراع بين رغبات النفس في هذه المرحلة العمرية، وقيد الشيب الذي جاء مبكراً، كما صوره **ابن المعتز:**

وَمَشَى الشَّيْبُ قَبْلَ عَقْدِ الثَّلاثِينَ ... فَلَمَّا انْتَهَى إليها أَغَذَّا[1]

أما **أبو فراس** فيغزوه الشيب قبل بلوغ عقد الثلاثين، بل ولم يتجاوز سن العشرين بعد:

عَذِيْرِيَ مِنْ طَوَالِعَ فِي عِذَارِي ... وَمِنْ رَدِّ الشَّبَابِ المُسْتَعَارِ

وَثَوْبٍ، كُنْتُ أَلْبَسُهُ، أَنِيْقٍ ... أُجَرِّرُ ذَيْلَهُ، بَيْنَ الجَوَارِي

وَمَا زَادَتْ عَلَى العِشْرِيْنَ سِنِّي ... فَمَا عُذْرُ المَشِيْبِ إِلَى عِذَارِي؟[2]

إن الحلول المبكر للشيب، وقصر مرحلة الشباب عند **أبي فراس** جعلته يصور الشباب عاريّة سرعان ما تُرد، ويبدو الشاعر متحسراً على ما سيفقده من طقوس ومتع، يمارسها في سن الشباب من ثياب أنيقة يرتديها مختالاً بها بين الجواري، منكراً حلول الشيب ولم يتجاوز سن العشرين، بتوظيف الاستفهام الإنكاري. ولمّا كان حلول الشيب يعني زوال مرحلة الشباب وهي المرحلة المحببة لدى الإنسان، والتي تجسد أوج قوته وحيويته؛ فإن في ذلك مدعاة للشاعر لأن يرثي شبابه الذي قضى عليه الزمن، فأصبح غريباً عنه. ويصور **ابن المعتز** حزنه على انقضاء الشباب وحاله في ذلك، كحال من مات له عزيز فلا أمل في العودة، وموت الشباب هو من فعل الدهر الذي يتولى قهر الشاعر في هذه المرحلة، بعد أن كان الشاعر يقهر الزمن في عهد الشباب. وكأن العلاقة بين الشاعر والزمن علاقة عداء، وانتقام:

شَبَابَ رَأْسِي وَذُقْتُ ثُكْلَ الشَّبَابِ ... وَلِعَهْدِي بِهِ كَلَونِ الغُرَابِ

كُنْتُ أَسْطُو عَلَى الزَّمَانِ فَأَضْحَى ... وَهُوَ يَسْطُو وَالدَّهْرُ لَيْسَ يُحَابِي[3]

كما يظهر الشاعر في صورة المتحسر على انقضاء زمن الشباب؛ إذ مرّ سريعاً، ولا عجب؛ فزمن السرور قصير. وقد قيد الشيب **أبا فراس** بقيود الوقار، قبل أن يستمتع بدواعي التصابي[4]، لذا صوره الشاعر ظالماً، يشبه الشباب بشر جار يُرحل كل من مرّ به حتى يختمها بالرحيل الأبدي:

أَيَا شَبِيبِي، ظَلَمْتَ! وَيَا شَبَابِي ... لَقَدْ جَاوَرْتُ، مِنْكَ، بِشَرِّ جَارِ

يُرَحِّلُ كُلَّ مَنْ يَأْوِي إِلَيْهِ ... وَيَخْتِمُهَا بِتَرْحِيلِ الدِّيَارِ[5]

(1) المرجع السابق (253/1).
(2) ديوان أبي فراس الحمداني (225/2).
(3) ديوان ابن المعتز (378/2-379).
(4) ديوان أبي فراس الحمداني (225/2). وَمَا اسْتَمْتَعْتُ مِنْ دَاعِي التَّصَابِي ... إِلَى أَنْ جَاءَنِي دَاعِي الوَقَارِ.
(5) المرجع السابق (225/2).

فصورة **ابن المعتز** مصبوغة بمشاعر الحزن والأسى لفقدان الشباب، بينما تعج صورة **أبي فراس** بمشاعر الكره للشيب الذي يجسده بالنداء، والغضب من الشباب الذي رحل عنه مبكرا. وإذا بدا الشاعران كارهين للشيب في الصور السابقة، فإنا نجدهما كارهين لرحيل المكروه(الشيب)؛ إذ إن رحيله يعني الموت يقول **ابن المعتز**:

الشَّـــيْبُ كُـــرْه وَكُـــرْه أَنْ يُفَـــارِقُنِي أَحْبِـــبْ بِشَـــيءٍ عَلَـــى البَغْضَـــاءِ مَـــوْدُود

يَمْضِـــي الشَّـــبابُ وَقَـــد يَـــأْتي لَـــهُ خَلَـــفٌ وَالشَّـــيْبُ يَـــذْهَبُ مَفْقُـــوداً بِمَفْقُـــودِ[1]

ويصور **أبو فراس** كرهه لرحيل الشيب، بصورة الضيف الذي كره الشاعر نزوله به، لكنه بعد حين كره فراق هذا الضيف:

وَكَـــمْ مِـــنْ زَائِـــرٍ بَـــالْكُرْهِ مِنِّـــي كَرِهْـــتُ فِرَاقَـــهُ بَعْـــدَ المَـــزَارِ[2]

ويحاول **ابن المعتز** التغلب على الزمن، "عندما يصور الخضاب الذي اتخذ منه سلاحاً يشهره في وجه المشيب، فكلما غزاه المشيب لجأ إلى الخضاب، وكلّما زال خضاب أتى بغيره متحدياً المشيب"[3]

وَقَـــالُوا النَّصُـــولُ مَشِـــيْبٌ جَدِيْـــدٌ فَقُلْـــتُ الخِضَـــابُ شَـــبَابٌ جديـــد

إِسَـــاءَةُ هَـــذَا بِإِحْسَـــانِ ذا فَـــإِن عَـــادَ هَـــذَا فَهَـــذا يَعُـــود[4]

لكن هذه المحاولة وتلك الحيل باءت بالفشل، وتغلب الدهر على **ابن المعتز** الذي اعترف بهذه الهزيمة مصوراً نفسه ناقماً على الدنيا التي سكنها مسلوب الإرادة، وعاشها حياة تجريب ومعاناة، ولم تورثه سوى الهمّ والوزر، وهذه الصورة توحي بخوف الشاعر من الدنيا وفعل الدهر به، فيتوجه إليها بالخطاب باثاً كرهه لها:

سَـــكَنْتُكِ يَـــا دُنْيَـــا بِرَغمِـــي مُكْرَهـــاً وَمَا كَـــانَ لِـــي فِـــي ذَاكَ صُـــنْع وَلَـــا أَمْـــر

وَجَرَّبْـــتُ حَتَّـــى قَـــدْ قَتَلْتـــك خِبْـــرةً فَأَنْـــتِ دِعَـــاءٌ حَشْـــوُهُ الهَّـــمَ وَالـــوِزْر

فَـــإِنْ أَرْتَحِـــلْ يَوْمـــاً أَدَعْـــك ذَمِيْمـــةً وَمَا فِيْكِ مِنْ عُـــودِي غِـــراس وَلَـــا بَـــذْرُ[5]

والشيب الذي يحدثه الزمن هو السبب في بعد المحبوبة عن **ابن المعتز**، إذ أنكرته لما حلّ به من نذير الضعف وذهاب حيوية الشباب، لكن الشاعر يلجأ إلى الماضي يذكرها به، فإذا أنكرته في حاضر شيبه فإن الزمن (الليل) يشهد بما كان بينهما من وصال في عهد شبابه. والصورة مفعمة بانفعالات الشاعر وتوتره، لما رمي به من المحبوبة. وما لجوؤه إلى الماضي إلا مواساة لذاته، وقهر للمحبوبة، بذكر ما ناله منهما من لذات:

(1) ديوان ابن المعتز (395/2).
(2) ديوان أبي فراس الحمداني (226/2).
(3) الصورة الفنية في شعر ابن المعتز، مسعود (ص189).
(4) ديوان ابن المعتز (393/2).
(5) المرجع السابق (401/2).

يَـــــا شَـــــرُّ إِنْ أَنْكَرْتِنِـــــي فَلَكَـــــمْ لَيـــــلِ رَأَتْـــــكِ مَعِـــــي كَواكِبَـــــه
شَـــــابتْ نَواصِـــــيْهِ وَعَـــــذَّبَنِي هِـــــلالُ خَامِسَـــــةٍ أُرَاقِبُـــــه[1]

وموقف المرأة من الشيب في صور **ابن المعتز** يتكرر عند **أبي فراس**، الذي يصور الغواني يماطلن الوعود ويكذبن الأماني، ويبدين الصدود عن الرجل إذا ما بدأ الشيب في الذوائب:

فَمَـــا لِلْغَـــوَانِي، إِذْ عَلَـــا الشَّـــيْبُ مَفْرِقِـــي يُعَلِّلْـــنَ قَلْبِـــي بِالأَمَـــانِي الكَـــوَاذِبِ
أَرَاهُـــنَّ يُبْـــدِينَ الصُّـــدُودَ عَـــنِ الفَتَـــى إِذَا مَا بَـــدَا الشَّـــيبُ الـــذي فـــي الـــذَّوَائِبِ[2]

لكن ردة فعل **أبي فراس** من موقف المرأة يختلف من ردة فعل **ابن المعتز**، **فأبو فراس** لا يكترث بها، وإنما يشيح بوجهه عنها إلى محبوبة أخرى يجد فيها ذاته، إنها الحرب بعدتها وعديدها:

فَمَـــالِي إِلَّـــا البِـــيْضُ، وَالبِـــيْضُ وَالقَنَـــا، وَجُـــرْدٌ كِـــرَامٌ، مُخْصَـــرَاتُ الجَوَانِـــبِ[3]

الملاحظ في صور الشاعرين في الغربة الزمانية أن صور **ابن المعتز** تسيطر عليها مشاعر الحزن والخوف ومحاولة المقاومة التي تنتهي بالاستسلام، أما صور **أبي فراس** فملونة بمشاعر الغضب والاستياء، والتحسر والمكابرة، وهذا يعود لطبيعة روح أبي فراس الأبية التي تخفض جناحها تارة من الاعتراف بثقل المعاناة، وتشمخ قامتها، تارات، مكابرة رافضة.

المحور الرابع: الاغتراب المكاني

وقد يجبر الإنسان على الإقامة في مكان مكرهاً على ذلك، فتنتابه مشاعر الكراهية لهذا المكان والحنين لمكان آخر يحبه ويألفه، من هنا يقول **ابن المعتز** في بغداد، راسماً لها صورة تثير الاشمئزاز وتكشف عن كراهية المصور لهذا المكان:

كَيْـــفَ نَـــوْمِي وَقَـــدْ حَلَلْـــتُ بِبَغْـــدَا دَ مُقِيمـــاً فـــي أَرْضِـــها لا أَرِيـــمُ
بِـــبِلاد فيهـــا الرّكايـــا عَلَـــيْهِنَّ أَكَالِيْـــلٌ فـــي بعـــوضٍ تَحُـــومُ
جَوُّهَـــا فِـــي الشِّـــتَاءِ وَالصَّـــيْفِ والفَـــ ـــصْلِ دُخَـــانٌ وَمَاؤُهَـــا يَحْمُـــومُ[4]

فيبدو أنه أكره على الإقامة في بغداد، فصور كرهه للمدينة من خلال تشويه صورتها. وبعد هذه الصورة القذرة ببعوضها، المعتمة بدخانها، البغيضة بأجوائها ومائها، تشرق صورة غاية في الجمال رائحتها مسك، ربيعها جواهر، فهي دار الملك سامرا مدينة الذكريات

(1) المرجع السابق (317/1).
(2) ديوان أبي فراس الحمداني (49/2).
(3) ديوان أبي فراس الحمداني (49/2).
(4) ديوان ابن المعتز (288/1)

الجميلة. لكن الشاعر يقطع بث جمال هذه الصورة بقوله (أقفرت)، فتصبح هذه الجنة بجمالها منقلبة على أعقابها خراباً، وهدماً، ومواتاً. لقد كانت هذه الصورة الجميلة من أرشيف الماضي السعيد في ذاكرة الشاعر:

ويــح دار الملــك التــي تنضــح المســـ ـــك إذا مـــا جـــرى عليهـــا النســـيم
وَكَـــأَنَّ الرَّبِيـــعَ فيهـــا إِذَا نَـــوَّ رَ وَشْـــيٌ أَوْ جَـــوْهَرٌ مَنْظُـــومُ
كَيْـــفَ أَقْفَـــرَتْ وَحَارَبَهـــا الدَّهْـــ ـــرَ وغنّـــى الحنَّـــانُ فيهـــا البُـــومُ
فَهِـــيَ هَاتِيـــكَ أَصْـــبَحَتْ يَتَنَـــاجَى بِالتَّشَـــكِّي خَرَابُهَـــا المَهْـــدُومُ
طَرَفَاهـــا بَـــرٌّ وَبَحْـــرٌ وَيُجْنَـــى الـــ ـــوَرْدُ فِيهـــا وَالشِّـــيحُ والقَيْصُـــومُ
نَحْـــنُ كُنَّـــا سَـــكناهَا فَانقَضـــى ذا كَ وَبِنَّـــا وَأَيُّ شَـــيءٍ يَـــدُومُ[1]

ولعل الفرق بين الصورتين عائد إلى مشاعر **ابن المعتز** اتجاه بغداد ومن فيها من حكام، سلبوه حقه وسرقوا ملكه، أما سامرا فهي مدينة الخلافة والنعيم حيث كان فيها الشاعر ابن الخلفاء، وولي عهدهم لذا؛ ينتاب الشاعر أحاسيس الحزن، والشعور بالقهر إزاء ما حلّ بسامرا من خراب وتدمير، فيصور هذه المدينة ذات المباني والقصور الضخمة الجميلة، وقد أصابها الخراب ونقلت أنقاضها إلى بغداد بصورة الفيل الضخم الذي أضحى كومة لحم هامدة بعد أن استلت عظامه، وهي صورة خاوية على عروشها لما فيها من مظاهر الهدم والسقوط:

قَـــدْ أَقْفَـــرت سُـــرَّ مَـــنْ رَأَى فَمَـــا لِشَـــيءٍ دَوَامُ
فَـــالنَّقْضُ يُحْمَـــلُ مِنْهَـــا كَأَنَّـــهُ الآجَـــامُ
مَاتَـــتْ كَمَـــا مَـــاتَ فِيْـــلٌ تُسَـــلُّ مِنْـــهُ العِظَـــامُ[2]

والحنين إلى الأماكن والأوطان غريزة فطرية في النفوس السوية، فها هو **أبو فراس** في صورة يشده الحنين لبلاده:

وَكَـــمْ لِـــي عَلَـــى بَلْـــدَتِي بُكَـــاءٌ وَمُسْـــتَعْبَرُ[3]

وهو يشتاق الوطن (منبج) بكليته بروابيه وأنهاره، وكافة بقاعه؛ فهي مسرح الصبا ومسكن الأهل؛ "فيحن إليها، وإلى ذكرياته فيها، وإلى طبيعتها الجميلة، التي فتنته، برياضها، وبساتينها، ومياهها السائحة في كل مكان، ويدعو لها بالخصب والسقيا بأسلوب رقيق حزين"[4]:

(1) المرجع السابق (288/1)
(2) ديوان ابن المعتز (204/2).
(3) ديوان أبي فراس الحمداني (206/2).
(4) الاغتراب في الشعر العباسي، سلامي، ص143.

قِـــــفْ فِـــــي رُسُـــــومِ المُسْـــــتَجَا ... بِ وَحَـــــيِّ أَكْنَـــــافَ المُصَـــــلَّى

فَالجَوْسَـــــقِ المَيْمُـــــونِ فَالسُّـــــــــــ ... ـــــــــــقْيَا بهـــــا فَـــــالنَّهْرُ أَعْلَـــــى

تِلْـــــــكَ المَنَـــــــازِلُ، وَالمَـــــــلا ... عِـــــــبُ، لا أَرَاهَـــــــا اللهُ مَحْلَـــــــا

أُوطِنْتُهَـــــــا، زَمَـــــــنَ الصِّـــــــبَا ... وَجَعَلْـــــتُ مَنْـــــبِجَ لِـــــي مَحِلَّـــــا

حَيْـــــثُ التَفَـــــتَّ رَأَيْـــــتَ مـــــا ... ءَ سَـــــابِحاً، وسَـــــكَنْتَ ظِلَّـــــا[1]

أما الأماكن التي أُجبر **أبو فراس** على الإقامة فيها، فتتمثل في السجن، "ويبرز السجن أشد الأماكن أذى لقاطنيه، إذ هو يسلب الإنسان أغلى ما في الوجود ألا وهو الحرية فهذا الأمير **أبو فراس** يشكو الحبس، الذي سلبه كل شيء. إن أهم ما يولّده السجن في نفس صاحبه، غربة الدار ووحشتها، وذلّها، ولذا **فأبو فراس** يشكو ذلك بحسرة ومرارة"[2] فيقول:

وَقَدْ كُنْتُ أَخْشَـــى الهَجْـــرَ وَالشَّـــمْلُ جَـــامِعٌ ... وَفِـــي كُـــلِّ يَـــوْمٍ لَفْتَـــةٌ وَخِطَـــابُ

فَكَيْـــفَ وَفِيمَـــا بَيْنَنَـــا مُلْـــكُ قَيْصَـــرٍ ... وَلِلْبَحْـــرِ حَـــوْلِي زَخْـــرَةٌ وعُبَـــابُ[3]

وقد صور **أبو فراس** تعلقه بحلب، ولوعته على فراقها، بصورة معبرة أسقط فيها إحساساته على مهره أيضاً، فجعلتنا نحس الرحيل نزاعاً ألمّ بنفس الشاعر، وقيّد مهره:

أَسِـــيْرُ عَنْهَـــا وَقَلْبِـــي فِـــي المُقَـــامِ بِهَـــا ... كَـــأَنَّ مُهْـــرِي لِثُقْـــلِ السَّـــيْرِ مُحْتَـــبِسُ

مِثْـــلُ الحَصَـــاةِ التـــي يُرْمَـــى بِهَـــا أَبَـــداً ... إِلـــى السَّـــمَاءِ فَتَرْقَـــى ثُـــمَّ تَـــنْعَكِسُ[4]

فهو يصور تعلقه بالوطن رغم الفراق فيجعل ذاته تسير وتبعد لكن قلبه يعود ويقيم في الأرض التي يتعلقها، بصورة الحصاة تؤخذ من الأرض وترمى في الفضاء، فتغيب قليلاً ثم تعود لموطنها، والتعلق بالأوطان من علامات الرشد، يقول الجاحظ: "من علامة الرشد، أن تكون النفس إلى مولدها مشتاقة، وإلى مسقط رأسها تواقة...فحرمة بلدك عليك كحرمة أبويك ..."[5]

لقد أثرت تجربة الاغتراب على نفسية الشاعرين ومن صور أثر الاغتراب عند **ابن المعتز**، أننا نراه في صورة المكتئب، الذي يبدو يائساً من الحياة، بل إنه يصور حياته موتاً فيقول:

وَعُطِّـــلَ مِـــنْ نَفْسِـــي مَكَـــانُ رَجَائِهَـــا ... فَـــإِن لَـــم يَكُـــنْ مَـــوتٌ فَكَـــالمَوتِ مَابِيَـــا[1]

(1) ديوان أبي فراس الحمداني (3/326-327).
(2) صورة الذات بين أبي فراس الحمداني ومحمود سامي البارودي دراسة موازنة، سلمان (ص143-144).
(3) ديوان أبي فراس الحمداني (2/24).
(4) المرجع السابق (2/237).
(5) الحنين إلى الأوطان، الجاحظ (ص8).

ومن أثر الاغتراب على نفس **ابن المعتز** انغماسه في اللهو، وأرى أنه يتعمد بث صورة الماجن الذي لا يأبه بأمور السلطة، وذلك محاولة منه لإخفاء طموحه برد سلطة أبيه وتولي الخلافة يقول:

فـــــإن تطلبنـــــه تقتنصـــــه بحانـــــة ... وإلّـــــا ببســـــتان وكـــــرم مظلـــــل

ولَسْـــتَ تَـــرَاه سَـــايلا عَـــنْ خَلِيْفَـــةٍ ... ولَـــا قَـــائِلاً مَـــنْ يَعْزِلـــون وَمَـــنْ يلـــي[2]

كما يصور ذاته غير آبه بما استلب منه، وفاته من منصب الخلافة:

لَـــئِنْ عُرِيْـــتُ عَـــنْ دِوَل أَرَاهَـــا ... تُجَـــدَّدُ كُـــلَّ يَـــوْم لِلْكِـــلاب

لَقَـــدْ خَلَّفْتُهَـــا بَعْـــدَ ابْتِـــذَالٍ ... لَهَـــا وَمَلْتَهـــا قَبْـــلَ الـــذَّهَاب[3]

وفي هذه الصورة يتضح غيظ **ابن المعتز** الذي يعانيه بسبب تقلب السلطة بين أبناء عمومته ممن لا يستحقونها، دون أن ينال هو منها نصيباً أو منصباً، ومما يجسد هذا الغضب تصويره إياهم بالكلاب وتصوير نفسه مترفعاً عن هذه السلطة راغباً عنها قبل الوصول إليها، وفي رسمه هذه الصورة يتضح انشغال فكره بقضية السلطة والذهاب إليها وإن أراد التظاهر بغير ذلك. ومن أثر الاغتراب على نفس **ابن المعتز** محاولته قهر الاغتراب والهروب منه باسترجاع الماضي التليد، يقول:

مَلَكنَـــا الـــوَرَى حِيْنـــاً وَكَـــانَ وَكَانَـــا ... فَأَرْخَصَـــنَا دَهْـــرٌ فَكَيْـــفَ تَرانـــا

أَلَـــمْ نَتَلَـــقَّ الحَادِثَـــاتِ بِصَـــبْرِنَا ... وَكَـــمْ جَـــازِعٍ لِلْحَادِثَـــاتِ سِـــوَانَا[4]

فهو يصور حجم الملك الذي كان لجده وأبيه، لكن الدهر أبى إلا أن يرخصهم، فلم يجدوا حلاً سوى الصبر، ورجوع "الشاعر إلى الماضي والفخر به أكبر سلاح له ضدّ الحاضر، وإحدى وسائله للخلاص من الكآبة، كما أنه وسيلته لاسترجاع شيء من ذكريات حياةٍ مشرقة مفعمة بالبطولات والتفاعلات"[5]. كما جعل الاغتراب **ابن المعتز** ساخطاً على المجتمع والناس:

خُلِّفْـــتُ فِـــي شَـــرٍّ عُصْـــبَةٍ خَلَفَـــتْ ... أَثْكَلَنِيْهَـــا رَبُّ السَّـــمَواتِ[6]

ثم بدا في صورة المتشائم يتمنى أن يكون حظه من الحياة حظ الخامل الجهول:

مَـــنْ يَشْـــتَرِي حَسَـــبِي بِـــأَمْنِ خُمُـــولِي ... مَـــنْ يَشْـــتَرِيْ أَدَبِـــي بِحَـــظٍّ جَهُـــولِ[1]

(1) ديوان ابن المعتز (305/1).
(2) المرجع السابق (290/2).
(3) المرجع السابق (230/1)
(4) ديوان ابن المعتز (296/1)
(5) أثر الاغتراب في شعر أبي فراس الحمداني، مظاهره وسماته الفنية، المعروف (ص110).
(6) ديوان ابن المعتز (432/2).

وقد سببت الغربة السياسية المضاعفة (غربة الوطن، والسجن) **لأبي فراس** غربة نفسية، إذ أضحى بعيداً عن ميادين الفروسية التي اعتادها واعتادته فلا يسد أحد مكانه[2] فهو "يتحسر حين تأتيه أنباء الحرب، وهو بعيد عن ميادينها، فيطفح إحساسه الرهيب بالغربة النفسية، نتيجة انقطاعه عن صفات آمن بها مجالا واسعا للحياة."[3] حتى أنه لا يخاف الموت في الأسر إلا لأنها ميتة قهر، وذل:

وَلَكِـــنْ أَنِفْـــتُ المَـــوْتَ فـــي دَارِ غُرْبَـــةٍ بِأَيْـــدِي النَّصَـــارَى الغُلْـــفِ مِيْتَـــةَ أَكْمَـــدِ[4]

وقد اختلطت هذه الآلام بنفس أبية لا تخضع ولا تستكين، فكانت الصور تجنح إلى الحزن تارة ثم تطمح إلى المجد أخرى، فأثر الاغتراب في نفسه يتخذ صورة ايجابية إذ زاده خبرة وقوة:

مَـــــا كُنْـــــتُ إِلَّـــــا السَّـــــيْفَ زَا دَ عَلَـــى صُـــرُوفِ الـــدَّهْرِ صَـــقْلَا[5]

ومن الملاحظ من خلال دراسة تجربة الاغتراب لدى الشاعرين أن صور الاغتراب في شعر **ابن المعتز** اتسمت بالهدوء الذي يخفي حمم المشاعر الملتهبة، قياساً على صور **أبي فراس** التي رسمت بالحزم والحزن معاً، إلا أن ذلك لا يعني أن اغتراب **أبي فراس** ومعاناته كانت أشد، وإنما السبب في ذلك أن **ابن المعتز**"من الشعراء الذين احتشدت عليهم الهموم فقمعوا واستكانوا"[6] أما **أبو فراس**، فجاءت صوره جامعة بين الصخب والاستكانة والتعب؛ إذ تجاذبتها مشاعر الاغتراب، وعظمة الذات التي تتصف" بالعزم القوي والهمة العالية في كل ما يقوم به صاحبها، وما يواجهه من مصاعب وشدائد يستطيع التغلب عليها، وقد لاحقته تلك الهمة حيثما حل وأينما سار، تنفي همومه وتطالبه بتحقيق ما يصبو إليه من مطامح وآمال."[7]، كما صورها في قوله:

نَفَـــــى الهَـــــمَّ عَنِّـــــي هِمَّـــــةٌ عَدَوِيَّـــــةٌ وَقَلْـــبٌ عَلَـــى مَـــا شِـــئْتُ مِنْـــهُ مُظَـــاهِرُ[8]

ومحاولته معالجة الاغتراب بالتجلد والمكابرة لم تمنع **أبا فراس** من الحنين إلى موطنه بكل ما فيه من بر، وبحر، وأهل، و وأولاد، وأكثر صور حنينه وشكواه كانت موجهة إلى أمه بينما، لا يوجد صور تمثل حنينه إلى زوجه، يرى نصرت عبد الرحمن "أن هذه المسألة ترتبط بنفسية فرسان العرب، لا بنفسية أبي فراس فقط، فهم يخاطبون الزوجات عند النصر لا وقت الهزيمة، وهم يباهون بشجاعتهم أمامهن ولا يبكون لهن عند الهزيمة، فالفارس العربي يظهر أمام أنثاه ويظهرها معه عند النصر ويتوارى منها خجلاً إذا هزم، ولذا توارى أبو فراس ولم يذكرها، وهو المهزوم الأسير"[9]

(1) المرجع السابق (415/2).
(2) ديوان أبي فراس الحمداني (410/3). إِنِّي أَغَارُ عَلَى مَكَانِيَ أَنْ أَرَى فِيْهِ رِجَالاً لا تَسُدُّ مَكَانِي
أَوْ أَنْ تَكُونَ وَقِيْعَةٌ أَوْ غَارَةٌ مَالِي بِهَا أَثَرٌ مَعَ الفِتْيَانِ
(3) صورة الذات بين أبي فراس الحمداني ومحمود سامي البارودي دراسة موازنة، سلمان، ص151.
(4) ديوان أبي فراس الحمداني (79/2)
(5) المرجع السابق (329/3).
(6) الأسر والسجن في شعر العرب، البزرة (ص472).
(7) أبو فراس الحمداني حياته وشعره، عبد المهدي (ص141).
(8) ديوان أبي فراس الحمداني (106/2).
(9) شعر الصراع مع الروم في ضوء التاريخ (العصر العباسي حتى نهاية القرن الرابع)، عبدالرحمن (ص284).

أما **ابن المعتز** فلم نجد في صوره حنيناً إلى أم، أو زوجة، أو أولاد. رغم شدة مشاعر الحزن واللوعة التي تصبغ صوره في غربته الاجتماعية. لعل السبب في ذلك يعود إلى أن **ابن المعتز** لم تكن له أسرة، كأبي فراس فقد طلق زوجته[1]، أما أولاده فاختلف الباحثون في إن كان له ولد أم لا، فمنهم من قال إن له ولداً يدعى العباس، متكئاً على فكرة أن **ابن المعتز** في كتابه البديع كنى نفسه أبا العباس[2]، كما يورد عبد المنعم خفاجي أن لعبد الله **بن المعتز** ولداً آخر، اسمه عبد الواحد، ثم يورد أن له ابنة معتمداً على رثاء الشاعر لها في قوله:

أَيَــا شَــعْبَةَ الــنَّفْسِ التــي لَــيْسَ غَيْرُهَــا سَــقَطْتِ فَقَــدْ أَفْــرَدْتِ عُــودِي لِكَاسِــرِ[3]

ويستغرب خفاجي ما ورد في الأغاني من أن **ابن المعتز** مات ولم يخلف له ولد، وما ورد في جمهرة الأنساب من أن **ابن المعتز** كان حصوراً لم يقرب امرأة قط، على أنني أرجح ما ورد في الأغاني، فالكنية لا تحتم أن يكون للشخص ولد؛ إذ قد يُكنى الإنسان وهو صبي، قبل بلوغه الزواج، أما الرثاء فقد يكون لرثاء امرأة أخرى، أما إن كان الشعر في رثاء ابنة له فالبيت يظهر أنها وحيدته، بالتالي فإن رحيلها يعني أنه لم يبق له أولاد، ثم إن صور الشاعر خلت من أجواء الأسرة، فزوجه قد انفصلت عنه، ومحبوبته تركته وتزوجت آخر، أما ما يرد في شعره من مغامرات مع النساء فهي من فعل الشعراء الذين يقولون ما لا يفعلون.

نَــــامَ عَــــنْ لَيْلِــــي وَلَــــمْ أَنَــــمْ نَهْــــبَ كَــــفِّ الوَجْــــدِ وَالسَّــــقَمْ

فــــي سَــــبِيلِ العَاشِــــقِيْنَ هَــــوًى لــــم أَنَــــل منــــه سِــــوَى الــــتُّهَمْ[4]

وبذلك حاول البحث من خلال التجربة الشعرية الكشف عن مشاعر الحزن التي سببها الاغتراب عند الشاعرين واستبيان أسبابها؛ إذ إنهما–في الغالب– لم يصرحا بأسبابها أو مصادرها بشكل مباشر. وقد تفاوتت الأسباب عند الشاعرين وإن تشابهت ظروفهما، والسبب في ذلك إقصاء السلطة والأقارب **لابن المعتز**، بينما أُدمج **أبو فراس** في السلطة وقُرب من بعض أقاربه، لكن ذلك يبقى دون طموحه ورغباته.

الخاتمة:

دارت هذه الدراسة حول تجربة الاغتراب الشعورية في التجربة الشعرية لشاعرين عباسيين: ابن المعتز العباسي، وأبي فراس الحمداني، عاش الأول في مركز الخلافة حيث الحضارة وتنوع الأجناس، والندوات العلمية، وحانات الخمر فكان لتناقضات البيئة أثرها في خلق حسّ الاغتراب عند الشاعر إضافة إلى ظروفه الخاصة من مثل مقتل الأب وسلب الممتلكات، أما الثاني فعاش في مدينة حلب إحدى ثغور الدولة الإسلامية على حدود الدولة مع الروم؛ فاقتضت هذه الظروف أن يكون فارساً شجاعاً وأميراً مترفاً، وبعد دراسة مشكلة الاغتراب عندهما تخلص الدراسة إلى:

أولاً: أن الشاعرين (ابن المعتز، وأبا فراس) اللذين تشابهت ظروفهما: العيش في طبقة ارستقراطية، ومقتل الأب، وغربة الأم، قد عانيا آلام الغربة والإحساس بالظلم. لكن المعاناة تفاوتت فيما بينهما؛ فابن المعتز أُقصي عن شؤون الخلافة أو أيّ من متعلقاتها، بينما منح أبو فراس فرصة القرب من الأمير وقيادة الجيوش، والمشاركة في أمور الحكم. وعلى المستوى الاجتماعي لم يلق ابن المعتز من أقاربه سوى التهميش،

(1) ديوان ابن المعتز (452/2). يقول: وَنَفَيْتُ عُرْسِي بِالطَّلاق مُصَمِّماً وَكَانَتْ حَصَاةٌ بَيْنَ رِجْلِي وأَخْمَصِي
(2) ابن المعتز وتراثه في الأدب والنقد والبيان، خفاجي (ص82).
(3) ديوان ابن المعتز (344/2).
(4) ديوان ابن المعتز (426/1).

أما أبو فراس فقربه ابن عمه (سيف الدولة) منه وعوضه الحرمان من الأب، وقد اتضح أثر ذلك في شعرهما كما تمّ بيانه في ثنايا هذه الدراسة.

ثانياً: أن الظروف السياسية قد قيدت ابن المعتز، فأخفى احتجاجاته، ورغباته في الخلافة، في حين تكثر صوره التي تكشف حزنه العميق في شعره الذي يعبر عن الغربة الاجتماعية، والزمانية، بينما ظهر أبو فراس أشد حزناً في تجربة الأسر.

كما ظهر عند أبي فراس حنين للأهل: الأم، والأبناء. بينما اختفت من صور ابن المعتز مثل هذه المشاعر؛ وذلك يعود للتفكك الأسري الذي عاناه الشاعر من طلاق الزوجة وقلة الأبناء وهذا نوع من اغتراب الذات سببه الانفصال عما هو مرغوب.

ثالثاً: لقد حاول الشاعران إيجاد معادل موضوعي يخفف من وطأة حاضر الاغتراب، وذلك بالعودة إلى الماضي؛ فيسترجع ابن المعتز صور القصور وحياة الترف والنعيم، و صور تنقله بين النساء زمن الشباب ليتغلب على الآم المشيب. بينما يسترجع أبو فراس صور فروسيته في قيادة الحروب.

رابعاً: لقد ولدت مشاعر الاغتراب عند الشاعرين غربة نفسية فظهرت عند ابن المعتز صور المتشائم المكتئب الحزين، بينما غلبت على أشعار أبي فراس صورة الذات المتضخمة، وهذا التضخم متأتٍ من الشعور بتميز الذات وتفردها.

المصادر والمراجع:

الأزهري، محمد بن أحمد. **تهذيب اللغة**. تحقيق: محمد عوض مرعب. ط1. بيروت– لبنان: دار إحياء التراث العربي، 2001م.

إسماعيل، عز الدين. **التفسير النفسي للأدب**. القاهرة– مصر: دار المعارف، 1963م.

البحتري، الوليد بن عبيد بن يحيى الطائي. **الديوان**. عني بتحقيقه وشرحه والتعليق عليه: حسن كامل الصيرفي. ط3. مج2. القاهرة– مصر: دار المعارف، (د. ت).

البزرة، أحمد مختار. **الأسر والسجن في شعر العرب**. ط1. دمشق– سوريا: مؤسسة علوم القرآن. (د. ت).

البغدادي، الحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب. **تاريخ بغداد مدينة السلام**. ط1. مج10. بيروت– لبنان: دار الكتاب العربي، (د.ت).

التوحيدي، أبو حيان. **الإشارات الإلهيّة**. حققه وقدم له: عبدالرحمن بدوي. ج1. القاهرة– مصر: مطبعة جامعة فؤاد الأول، 1950م.

التوحيدي، أبو حيان. **الصداقة والصديق**. القاهرة– مصر: دار الحديث، 2007م.

الثعالبي محمد بن إسماعيل. **يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر**. حقّقه وفصّله وضبط شرحه: محمد محيي الدين عبدالحميد. ط2. ج1. القاهرة– مصر: مطبعة السعادة، 1956م.

الجاحظ، عمر بن بحر. **الحنين إلى الأوطان**. ط2. بيروت– لبنان: دار الرائد العربي، 1982م.

الجاحظ، عمر بن بحر. **المحاسن والأضداد**. شرح: يوسف فرحات. بيروت– لبنان: دار الجيل، 1997م.

الحمداني، هادي. **شعر السجون والأسر في الأدب العربي**. *مجلة كلية الآداب*– بغداد. ع(13). 1970م.

الحنبلي، ابن العماد. **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**. ج2. بيروت– لبنان: دار الآفاق الجديدة، (د. ت).

خفاجي، محمد عبدالمنعم. **ابن المعتز وتراثه في الأدب والنقد والبيان**. (د. ط). بيروت: دار الجيل، 1991م.

الدسوقي، كمال. **ذخيرة علوم النفس**. (د. ط). القاهرة– مصر: الدار الدولية للنشر والتوزيع، 1988م.

راجح، أحمد عزت. **أصول علم النفس**. الإسكندرية– مصر: المكتب المصري الحديث للطباعة والنشر، (د. ت).

الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر. **مختار الصحاح**. تحقيق وشرح وضبط: سعيد محمود عقيل. (د. ط). بيروت– لبنان: دار الجيل، 2002م.

زكي، أحمد كمال. **ابن المعتز العباسي**. مصر: المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر، 1964م.

سبط ابن الجوزي، يوسف بن عبد الله. شمس الدين أبي المظفّر يوسف بن قِزأ، **مرآة الزّمان في تاريخ الأعيان وبذيله ذيل مرآة الزمان**. تحقيق: كامل سلمان الجبوري. ط1. ج10. بيروت– لبنان: دار الكتب العلمية، 2013م.

سلامي، سميرة. **الاغتراب في الشعر العباسي**. ط1. دمشق– سورية: دار الينابيع، 2000م.

سلمان، ياسر علي عبد. **صورة الذات بين أبي فراس الحمداني ومحمود سامي البارودي دراسة موازنة**. دمشق– سورية: دار نينوي للدراسات والنشر والتوزيع، 2008م.

السويداوي، ناظم حمد. **حركية الصراع في القصيدة العباسية**. دمشق– سورية: دار العرب للدراسات والنشر والترجمة، 2012م.

شاخت، ريتشارد. **الاغتراب**. ترجمة: كامل يوسف حسين. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1980م.

أبو شاويش، حماد حسن، وعواد، إبراهيم عبدالرازق. **الاغتراب في رواية "البحث عن وليد مسعود" لجبرا إبراهيم جبرا**. *مجلة الجامعة الإسلامية –سلسلة الدراسات الإنسانية*. م(14). ع(2). 2006م، 121–169.

الصابي، الهلال بن المحسن. **الوزراء أو تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء**. تحقيق: عبدالستّار أحمد فراج. (د. م): مكتبة الأعيان، (د.ت).

الطبري، محمد بن جرير. **تاريخ الطبري تاريخ الرسل والملوك**. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. ج9. القاهرة– مصر: دار المعارف، (د.ت).

الطيّب، عبدالله. **المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها**. ط1. ج3. بيروت– لبنان: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1970م.

عبدالرحمن، نصرت. **شعر الصراع مع الروم في ضوء التاريخ (العصر العباسي حتى نهاية القرن الرابع)**. ط1. المملكة الأردنية الهاشمية– عمّان: مكتبة الأقصى، 1977م.

عبد المهدي، عبدالجليل حسن. **أبو فراس الحمداني حياته وشعره**. ط1. عمّان– الأردن: مكتبة الأقصى، 1981م.

ابن العديم، كمال الدين أبي القاسم. **زبدة الحلب من تاريخ حلب**. وضع حواشيه: خليل المنصور. ط1. بيروت–لبنان: دار الكتب العلمية، 1996م.

الفاخوري، حنّا. **الجامع في تاريخ الادب العربي: الادب القديم**. ط1. بيروت– لبنان: دار الجبل، 1986م.

أبو فراس الحمداني، الحارث. **الديوان**. عني بجمعه ونشره وتعليق حواشيه ووضع فهارسه: سامي الدهان. ج2–3. بيروت: (د. ن)، 1933م.

الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب. **المعجم المحيط**. مج1. بيروت لبنان: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، 1997م.

القاسمي، علي. **مفهوم الغربة والاغتراب في الثقافة العربية**. *مجلة عمان–الأردن*. ع(67). 2001م.

المحاسني، زكي. شعر **الحرب في أدب العرب في العصرين الأموي والعباسي إلى عهد سيف الدولة**. القاهرة– مصر: دار المعارف، 1961م.

مسعود، زكيّة خليفة. **الصورة الفنية في شعر ابن المعتز**. ط1. بنغازي– ليبيا: منشورات جامعة قار يونس، 1999م.

المصري، زياد فايز. **القيم الإنسانية والجمالية في شعر الأسرى – مقاربة بنائية ودلالية**. *مجلة الجامعة الإسلامية للبحوث الإنسانية*. م(23). ع(1). 2015م، 95-121.

ابن المعتز، عبدالله. **ديوان أشعار الأمير أبي العباس**. دراسة وتحقيق: الدكتور محمد بديع شرف. ج1-2. القاهرة، دار المعارف، (د.ت).

المعروف، الجوهرة عبدالعزيز. **أثر الاغتراب في شعر أبي فراس الحمداني، مظاهره وسماته الفنية**. إشراف: نورة صالح الشملان. (د.ط). السعودية: جامعة الملك سعود، 1998م.

ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي. **لسان العرب**. ط2. مج1. بيروت- لبنان: دار صادر، 1994م.

المومني، عبدالمالك. **التجربة الإنسانية في روميات أبي فراس الحمداني**. ط1. بيروت- لبنان: دار الكتب العلمية، 2010م.

ميز، آدم. **الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، أو عصر النهضة في الإسلام**. نقله إلى العربية: محمد عبدالهادي أبو ريدة. ط5. مج2. بيروت- لبنان: دار الكتاب العربي، (د. ت).

النوري، قيس. **الاغتراب-اصطلاحاً ومفهوماً وواقعاً**. *مجلة عالم الفكر- الكويت*. م(10). ع(1). 1979م، 13-40.

واضح، الصمد. **السجون وأثرها في الآداب العربية من العصر الجاهلي حتى نهاية العصر الأموي**. ط1. بيروت- لبنان: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1995م.